المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ يوليو سنة ١٩٥٠ ١٦ رمضان سنة ١٣٦٩

اليهود

كسلالة او شعب(١)

للسير ارثر كيث

الشعب اليهودي يختلف عن سائر الأمم الكبرى بأن فكرة اتحاده ليست بناءً على الاقليم او الوطن ، وانما يتحد اليهود على يقين انهم نوع من البشر ذو تقليد متقادم العهد ، وذو عقيدة شعبية ودينية معاً . ان فكرة الجنسية عندهم مائعة تميل مع الريح ، حيثما يذهبون تذهب جنسيتهم معهم (أينما كانوا هم يهود ، اذا سألت واحداً منهم ما جنسيتك ، قال أنا يهودي) . ان فكرة الجنسية المبنية على الوطن أو الاقليم مرنة جداً هي عجينية قابلة للجبل

أما شعور اليهود بالاعتزال والانفصال عن الأمم الأخرى فهو شعور صلب . هو شعور «واقٍ من المطر» فقد قضى اليهود ٢٥ قرناً في العاصفة . ان طبيعة جنسيتهم المائعة القابلة للتنقل والشديدة المقاومة والاجتهاد ، مكنتهم أن يفعلوا شيئاً لم يفعله أحد سواهم — مكّنتهم أن يتغلغلوا بين جميع الأمم بسلام . لا تجد بلداً في أوروبا وغربي آسيا وشمالي أفريقيا أو في العالم الجديد خلواً من كنيس لليهود وطائفة يهودية مستقلة . وهكذا ترى

---

(١) نأخذ هذا المقال من كتاب «نظرية جديدة في التطور الانساني» الصادر حديثا ، بتصرف قليل في أحد المواضع

أن اليهود يختلفون عن سائر الأمم بكونهم لاوطن لهم ولاجماعة متكتلة في مملكة واحدة، بل هم مشتتون جماعات شبه منعزلة . اليهود يخافون أن تغرق جنسيتهم في الجنسيات الأخرى ، بل يخافون أن تفنى في بحر الجنس البشرى .

كثيرون من البحاثة، يهوداً وغير يهود، يترددون في اعتبار اليهود أمة . وصديقي المرحوم فليب مغنوس صرّح برأي كثيرين من اليهود الانكليز حين كتب « انهم جماعة دينية ذات ولاء للدولة كسائر الجماعات الأخرى الدينية . والمستر مونتفيور اليهودي العلاّمة الانكليزي أكد القول بأن اليهود يعزلون أنفسهم لأجل دينهم . وليس غرضهم أن يخلّدوا سلالتهم بل دينهم ، والذين كتبوا عن الشعبية Nationalism يذكرون لليهود صفة جماعة سلالية مختصة كأنها أمة بالمعنى الروحي . ودائرة المعارف اليهودية تسلّم بأن اليهود كانوا أمة، وأما الآن فانهم جماعة دينية . قال مستر ووسبانولف سنة ١٩٠٤ أن اليهود جماعة دينية مربوطة بالزواج الداخلي » . وأما اختلاف الآراء بهذا الشأن فيفسر بأن الديانة اليهودية كسائر الأديان القديمة كانت ترمي الى سعادة الجماعة أو القبيلة وبالتالي الى بقائها . اليهودية تنص على المبادىء الدينية والاجتماعية والسياسية كما انها تنص على المبادىء الدينية . كتب جيبون في كتابه عن سقوط الامبراطورية الرومانية وزوالها : « يظهر ان دين موسى جُعل لقطر خاص ولأمة خاصة » . اليهودية شعبية National بمقصدها . والرومان كانوا هكذا بلا شك ؟ والنصارى طائفة مكونة من عدّة أمم . وكتب كستين يهودي في المانيا : « اليهود أمة سائرة في طريقها مستعدّة أن تضحي التضحيات اللازمة » .

ليس سهلاً أن أثبت أن اليهود أمة . فاذا اعتبرناهم أمة فهم أيضاً سلالة، فاعتبارهم سلالة يصدق على أول ظهورهم كسلالة . في سنة ١٥٧٠ ظهرت الجملة التالية في أحد المطبوعات « سلالة ابراهيم وشعبه » والمطران نورويتنش كتب : « التاريخ نفسه (التوراة) هو قصة غير تامة عن سلالة صغيرة » . فان كنت مخطئاً في كلامي عن اليهود كسلالة أكون مسبوقاً بهذا الشأن ولي ظهير . أن معظم زملائي الانتروبولوجيين في انكلترا وفي أوروبا وفي أميركا ينظرون الى السلالة نظرة عالم في علم الحيوان، ويعتقدون أن السلالة تتميز بعلامات خارجية ، في حين أني أعتقد أن العلامات الأولية يجب أن تكون سيكولوجية (عقلية).

ولليهود جميع الخواص السيكولوجية التي للسلالة ، فهم يشعرون بالتشابه الكلي فيما بينهم، وانهم يختلفون عن سائر الشعوب . وهم يصرّون على التزاوج الداخلي (فيما بينهم) ، يضحون بحياتهم في سبيل تخليد جنسهم . هم شعب مختار منعزل عن سائر الشعوب ، وقد أمنوا على رسالة إلـهية . وبحسب رأي كالدجي الذي كتب سنة ١٩٣٥ عن جهد الصهيونية في سائر العصور ، الاعتزال والتعصب وعدم التساهل هي عناصر جوهرية في اليهودية ، كلها صفات سلالية . والأستاذ هانكينز رأى أن لليهود جميع الصفات الأخرى التي للأمة ولهم وجدان السلالة الراقي ، أي الشعور بتفوق السلالة ونقاوتها .

الوسيلة الحساسة لتمييز سلالة من أخرى الاعتماد على النظر والسمع . ويزنبرغ الذي هو انثروبولوجي ويهودي يؤكد أن الروس يمكنهم أن يميزوا ٥٠ بالمئة من اليهود من مظهرهم . والروس اليهود يمكنهم أن يميزوا بعضهم من بعض في ٧٠ بالمئة من الأشخاص . واختباري في الجماعات البريطانية تجعلني أصدق في ٤٠ بالمئة من الأشخاص اليهود في التمييز بين اليهود وغيرهم . ولـكني أخطىء نحو خمسة بالمئة في الناس الذين لم يبق منهم دم يهودي . ودهلبرج عالم الحياة السويدي قدر الفرق بين اليهود الأوربيين والعناصر الأخرى كالفرق بين السومريين والاسبان . والدكتور صلامان العالم اليهودي قال : أن يهود جنوب أوربا المسمين السيفرديم يعرفون حالاً من مظهرهم . وسواء استعملنا كلمة سلالة كما يستعملها عالم الحيوان أو بمعناها الأصلي يعتبر اليهود سلالة .

القضية المهمة الآن هي أن نستكشف متى وأين عرف اليهود كسلالة تامة بحيث انها لا تحتاج الى اقليم تقيم وتعيش فيه . المصدر الأساسي لهذا الأمر هو « العهد القديم » التوراة . التوراة والانثروبولوجيا الحديثة متفقتان في تعيين الوطن الأصلي لليهود . كان ابراهيم سوريًا سليلاً من الشعب الذي وضع أساس الحضارة البابلية . ويجب أن نلاحظ ان قبيلة ابراهيم كانت جماعة تتزاوج داخليًا ، أي انها لا تتزاوج مع قبائل أخرى ، ابراهيم تزوج أخته من أمه ، وناحور تزوج بنت اخته ، واسحق ويعقوب تزوجا بنتي عمهما . وأخيراً حين استوطن حفداء ابراهيم جنوب فلسطين أصبح امتزاجهم بالأمم الأخرى خطراً على نقاوة السلالة . ونلاحظ أن يهوذا الذي يجب أن نلاحظه على الخصوص ، تزوج إحدى

بنات البلاد (من غير قبيلته) وهكذا فعل ابنه

وكاتب التوراة المؤرخ يترك عدة نقط مبهمة بلا تفسير، ولاسيما رحلة بني اسرائيل الى مصر ومن مصر . وهو يغفل أمر الاسرائيليين حين كانوا في مصر . وقد كانوا آخر حلقة من سلسلة الشعوب التي امتدت شمالاً أي غربي الأردن حتى حدود سوريا . فالمديانيون والعمالقة والأدوميون والموآبيون والعمونيون يمثلون حلقاً في تلك السلسلة . كلهم يتكلمون لغات مختلفة مشتقة من لسان واحد كالاسرائيليين . والراجح ان الاسرائيليين دخلوا مصر لا كأعضاء أسرة واحدة ، بل كقوم متجمعين من أسرات عديدة . والقبائل الأعراب لا يزالون يقيمون في ضواحي الدلتا المصرية، وبعد اقامة محدودة يرحلون . وكذا الاسرائيليون بعد ترحل طويل في مصر، يقدر عادةً بنحو ٤٤٠ سنة، صاروا قوماً صحراويين (يترحلون) . وتنقيب جارستانغ Garstaing في أريحا أظهر أدلة على عبور الاسرائيليين نهر الأردن وفتحهم الأرضين العليا في فلسطين في زمن تقرر انه منذ ١٤٠٠ سنة قبل المسيح . وهذا البحاثة نفسه يقدر ان بني اسرائيل لما دخلوا فلسطين لم يكونوا يعدّون أكثر من ستة آلاف نفس او سبعة آلاف[١] . وان يشوع (الذي استلم قيادتهم من موسى لم يكن يقدر أكثر من الف نفس) . وكان اهالي البلاد حينئذٍ جماعات سلالات مختلفة . ومؤرخ الغزوات (في سفر يشوع الاصحاح ١٢) يذكر نحو ٣١ مملكة او ولاية وقعت في أيدي الاسرائيليين . واذا علمنا ان مساحة فلسطين نحو ١٠ آلاف ميل مربع أي نحو خمس مساحة انكلترا ، وان أكثر من نصفها قليلاً صالح للاقامة، فنعلم كم كانت هذه الممالك صغيرة . والقراء يعلمون حينئذٍ جيداً كم كانت أقاليم الأسباط الاثني عشر صغيرة .

ولما استوطن الاسرائيليون في فلسطين ألفوا « اتحاد قبائل » Confedration ولكي يصيروا أمة كان عليهم ان يحلوا نظام القبيلة . وقد تمَّ ذلك تحت حكم شاول وداوود وسليمان أي بين ١٠٥٠ و ٩٥٠ قبل المسيح . وكان سبط يهوذا أول من أحدث هذا التغيير في القبيلة، وأقام حكومة مركزية . واذ نرى أن اليهود جاؤوا من صلب يهوذا يجب أن نوجه أنظارنا على الخصوص الى ذلك السبط . وكان اقليمه يمسح نحو ٢٥٠٠ ميل مربع

---

(١) والتوراة تقول انهم خرجوا من مصر ٦٠٠ الف ماش (سفر الخروج : الاصحاح ١٢ : عدد ٣٧)

ونصف أرضه جبلي أو صحراوي . وفي عز قوة بني يهوذا ونجاحهم لم يزد عددهم على نصف مليون . وأرض يهوذا موّنت فلسطين بملوكها وكهنتها وأنبيائها . وكان بنوها عنداء وغلاظ الرقاب متعصبين .

أول نكبة نكب بها الاسرائيليون انفصال الأسباط الشمالية العشرة من اتحادهم سنة ٩٣٥ قبل المسيح عن شعب يهوذا . وبعد قرنين (سنة ٧٣٨ — ٧٢١ ق م) رأى بنو يهوذا أن الأسباط العشرة سيقوا أسرى الى بلاد أشور واحتلّ بلادهم قوم أغراب عنهم . وفي أقل من قرن رأى بنو يهوذا أنفسهم في نفس الحالة ، اذ سيق الجانب الأكبر منهم أسرى الى بابل (٥٩٦ — ٥٨٢) . وفي الأسر وجد ابناء يهوذا أنفسهم في عقلية أشد صلابة وعناداً من اخوانهم الذين كانوا في المملكة الشمالية . واسرائيليو الشمال ذابوا في الشعوب الغريبة التي نزلت في أرضهم بينهم . والقوم الجنوبيون (الذين نتكلم عنهم الآن كيهود) حرصوا على ذاتيتهم . وحين كانوا بين البابليين ، حافظوا على لغتهم وعاداتهم . وهذبوا ديانتهم حرصاً على سلالتهم . وحافظوا على تقاليد سلالتهم بحيث أن ديانتهم تبقى نقية غير ملوثة . ويقينهم بأنهم مستقلون عُزّل عن الأمم الأخرى ، وانهم شعب مختار ، واحساسهم بأنهم سلالة قائمة بذاتها — هذا اليقين أقدرهم أن يصمدوا ضد قوّة الاندماج بالبابليين . وأخيراً وهم يشعرون انهم دخلاء في الامبراطورية الفارسية (بعد أن غزا كورش الفارسي بابل وامتلكها وأطلق سراحهم) كان شعورهم بأنهم سلالة مستقلة حفظهم كشعب قائم بذاته . ولطالما جاهد الأغريق والرومان والمصريون ضدّ عنادهم في تمسكهم بذاتيتهم فأخفقوا .

هنا لنا خبر حادث ممتاز في مجرى التطور البشري — خبر نشوء سلالة ذات نوع جديد . ولدت السلالة وترعرعت في اقليم من فلسطين ، كان حصة سبط يهوذا . وكان هذا السبط يحصر التزاوج في داخله . ولكن هذا الحصر في التزاوج لا يكفي وحده لنموّ شكل خاص للعقلية . فلا بدّ إنه كان في تكوّن هذا السبط رجال ونساء أغنياء بالشعور والاميال والاستعداد الطبيعي لهذه العقلية . هذا النوع من العقلية الذي أنسبه الى بني يهوذا الأولين القدماء ممثل في نحميا ساقي ملك فارس في قصر شوشان نحو سنة ٤٤٦ ق . م .

نقل الى نحميا أصحابه أخباراً سيئة عن حالة أورشليم . قال نحميا في سفره الاصحاح الأول عدد ٤ . — « فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت أياماً وصمت وصليت أمام إلـه السماء » . والانسان الذي يفعل هكذا لا يكون ذا شخصية اعتيادية . ان أناساً كهذا يكرهون أن يتطرفوا . ولكنهم يودون أن يتطرفوا (في مثل هذا الظرف) فلا تنكر على نحميا عواطفه نحو قومه .

كان اليهودي في وطنه الأصلي فلاحاً . وكانت له مزارعه يزرع فيها القمح والشعير . ويشذّب كرمته . ولكن الفلاح كان يقطن في مدينته . وحين انتشر في البلاد بنى مدناً لسكنه ، لأنه في المدينة يعيش مع قومه ، وينجو من الاندماج في أقوام أخرى . ولكن كيف نجح في التجارة ؟ في مراكش الاسبانية لنا مثل على كيفية صيرورته تاجراً وصرّافاً . نشأت سوقٌ على الحدود حيث تلتقي أقاليم بعض القبائل وحيث يحدث التقايض . ففي أول الأمر أشغل تلك الأسواق يهودٌ . وقد جلبوا معهم الأحذية والملابس الجاهزة لكي يبدلوا بها بضائع أخرى من الأهالي . فكانت القبائل ترحب بهم لأنها تحتقر التجارة والتجار . فانتقل هذا الشغل رويداً الى يهود مراكش . فأدخلوا المعاملة بالنقد وأصبحوا صيارفة وذوي مصارف . بمثل هذا الأسلوب صار اليهود تجاراً في الأرض التي استوطنوها . ففي زمن ابراهيم كانت التجارة بين سوريا ومصر في أيدي الشعوب السامية . وفي الزمن القديم والزمن المتوسط كان الأعراب ينقلون البضائع ويبيعونها .

وهناك شعبان آخران الأرمن والفرس شاركوا اليهود في عقليتهم السلالية ، فكانوا يتاجرون في مدة تشتتهم . الأرمن محسوبون آريين واليهود ساميين ، ولكن لكلا الفريقين سجايا في العقل والجسد يشتركان بها بحيث أن الانثروبولوجي الذي يحسب حساب هذا التشابه يشعر انه مضطر أن يتقهقر الى الوراء ، فيرد الفريقين إلى تلك السلالة الموهوبة التي كانت في طليعة العناصر التي أنشأت حضارة ما بين النهرين . واني لأوافق الدكتور بار Dr. L. W. Parr في ما قاله بشأن سجايا الأرمن : « هم ذوو درجة عالية في الوحدة السلالية ، وسجايا خاصة اجتماعية واقتصادية حتى في دمهم وخواصهم الطبيعية . وعقلية الفرس من جهة أخرى لا تنسب إلى ميراث من شعب بين النهرين . كانوا فرساً من

أصل آري يؤمنون بعقيدة زوردستة التي كديانة اليهود تحرص على المبدإ الديني والقومي معاً . فالفتح الأسلامي سنة ٦٤١ بعد المسيح اضطرَّ المتعصبين من اتباع زوردستة أن يرحلوا إلى الهند ويؤلفوا منهم جوالي مستقلة في مدن وقرى من بمباي، وشرعوا يتاجرون وهم يحرصون على ذاتيتهم وينتشرون جماعات في الهند وفي البلاد المجاورة . فعند الأرمن واليهود الدين والسلالة متلازمان .

* * *

في سنة ١٣٥ ب . م . شتت ادريان اليهود من فلسطين ودمر أورشليم إلى الحضيض ، وجعل يهوذا خراباً يباباً . ولكننا رأينا أن أسرى اليهود استقروا في بابل في القرن السادس ق. م. وكثيرون منهم فضلوا أن يبقوا هناك لا أن يعودوا إلى فلسطين . وفي القرن الخامس ق. م. انتشروا في أمبراطورية فارس التسعة حيث رفعت الحضارة السامية رأسها الأشيب لأول مرة . وفي القرن الثالث دفع الفرس اليهود أمامهم إلى الغرب وإلى الموانىء التجارية على البحر الأسود . وفي نفس القرن استقرت ألوف منهم في الأسكندرية . وبعض مدن مصر والأمبراطورية الرومانية مهدت لهم الطريق إلى قلب أوربا . وفي القرن الثاني ق.م رحلوا إلى رومه وإيطاليا . يقول جريتز المؤرخ اليهودي لم يوجد زاوية في رومه أو بارثيا ليس فيها كنيس وجالية يهودية ، ثم رحل فريق منهم الى شرق البحر الأبيض في وسط القرن الأول ق. م. وقد قدر عددهم في ذلك الوقت بنحو ١٠ آلاف في دمشق وبمليون في مصر ، وهكذا نرى أن اليهود كانوا يبتغون مواطن في الأماكن التي استقرت فيها جاليات منهم منذ أمد بعيد قبل أن يدمر أدريان وطنهم الأصلي . وفي القرن الثالث ب. م. وصلوا إلى وادي الرين . وفي القرن الثامن وجدوا في بولندا وغربي روسيا . وقد كتب جرايتز المؤرخ اليهودي «أن مصيراً قاسياً كان دائماً يدفعهم عن وطنهم المركزي . . . هذه ارادة الله » كان مصيراً قاسياً لهم على الخصوص بسبب جهازهم العقلي .

وكان يقال دائماً ان اليهود ليسوا سلالة، بل هم مزيج من عدة سلالات . ولهذا يختلفون في شكلهم الطبيعي . واليهود الجنوبيون الذين يقال لهم سفرديم Saphardim كانوا على الغالب

طوال الرؤوس وسود الشعور . وأما يهود الشمال فكانوا مستديرو الرؤوس وشعورهم سمراء أو صفراء أو وردية . فكيف نعلل هذا الخلاف بين الجانبين اذا كانوا كلهم من سلالات يهوذا . لا ريب أن اليهود الأولين هدوا كثيرين الى اليهودية : وبسبب الزواج المختلط من حين إلى حين ضموا جريثيمات Jins من الشعوب المختلفة التي كانوا يتعيشون معها إلى جريثيماتهم الخاصة . وبهذا البيان تفسر خواصهم الفسيولوجية. ولكن لعوامل «الانتخاب الطبيعي » عملٌ ما دامت تكوّن جالية بعد جالية . ونحن نعلم انه حين تنقسم جماعة أو قبيلة تختلف الأقسام الجديدة عن القديمة بقوتها التوليدية . فحين ولّدت الجالية اليهودية القديمة زمرة من الرواد لكي تؤلف جالية في بلدة مجاورة، فالرواد يختلفون في بعض الصفات عن الجالية الأم . وحيث هذه الجالية الجديدة تعمل لتأليف جالية ثالثة ، فالثالثة تختلف أكثر فأكثر عن الأم والجدة . والراجح أن اليهود الذين بلغوا الى بولندا قادمين من حوض الرين كانوا الحلقة العشرين أو الثلاثين من سلسلة الجوالي المتوالدة من الجالية الأم التي نشأت في الرين ثم هجرته . هكذا نتوقع ان اليهود الذين بعدوا جداً عن مركز التشتت يجب أن يختلفوا جداً عن طابع يهوذا أو طرازه .

* * *

فعملية التطوُّر التي احتملها اليهود لم تنحصر في صفاتهم الجسمانية بل جهازهم العقلي . السمة الجوهرية التي يتسم بها اليهودي هي إحساسه الحي بأنه حلقة من سلسلة سلالته، وإنه غير متصل بالأمم الأخرى Jentiles · بغير هذا الاحساس يغرق في بحر الأممية . فكّر لحظةً في التجارب التي تعرّض لها اليهود والغربلة التي قاسوها وعملية الانتخاب التي احتملوها في الـ ٢٥ قرناً التي تفصلهم الآن عن جدودهم الذين كانوا في الأسر كانت خوّاص اليهود الاجتماعية قد تطوّرت كما تطوّرت خواص الأمميّ . وكان دائماً تغريه جواذب مضيافه الاجتماعية. حتى إذا كان ضعيفاً أصبح فريسة لها . الاثم الذي لا تغتفره جماعته هو شروده عن عقيدته وسلالته وعلى الرغم من حرمه من جماعته وجحدها له. قد يقع في هوى مرأة من إحدى الأمم ويتزوجها. وهكذا يجلب دماً أممياً الى سلالته . والنسل المختلط من زواج كهذا مع الزمن يؤول الى

التلوث بالقوم الذين اختلط بهم . فاذا لم تكن عقلية اليهودي السلالية موروثة فالنسل يغرق في الأمم ويضل عن السلالة وينفصل عنها . وفي أثناء ثمانين جيلاً كان اليهود يقاسون حملة الانتخاب العقلي القاسية . ولو لم يكن الاحساس السلالي راسخاً فيهم لغرقوا في بحر الأممية . وبدلاً من أن يضعف شعور اليهودي بالاستقلال عن الأمم كان ينمو أقوى فأقوى مع الزمان . وبين الأمم صار الشعور بالقومية أكثر طغياناً وعدائية .

* * *

كانت لي فرصة حسنة أن أتكلم عن عقلية نحميا كطابع لعقلية اليهود ، على أني أزيدها برهاناً إذا كنت أقتبس شجبه للزواج المختلط (السفر ١٤ العدد ٢٣) « في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً » وكان النبي عزرا يعتقد أن هذا الزواج المختلط جلب عليهم غضب الرب على شعبه المختار (سفر عزرا الاصحاح العاشر عدد ١٠ و ١١) .

وكان كلما عنفت الأمم مواطنيها اليهود زادوهم حرية دينية واجتماعية ومدنية . وسقط العدد الأكبر من اليهود فرائس لعملية الاندماج بالأمم . ومن جهة أخرى كانوا كلما تحاملت الأمم عليهم ، وكلما اشتد الاضطهاد ونشطت نعرة الروح المقاومة للسامية اشتد التحام اليهود وصاروا أكثر تعصباً ، واليهود الذين لم يبالوا بديانتهم بل أهملوها وصاروا على شفا أن يهجروا الجهاد السامي كانوا إذا أصبحت سلالتهم تحت خطر ينضوون تحت لوائها للدفاع . تكفينا شهادة يهودي واحد على صحة هذا القول . هي أن الفيلسوف برغسن اليهودي الفرنساوي لما اشتد الاضطهاد على اليهود في المانيا سنة ١٩٣٧ قال تعليلاً لهذا الاضطهاد « ان تفكيري قادني شيئاً فشيئاً الى الكثلكة التي كنت أرى فيها اتفاقاً مع اليهودية ، كدت أعتنقها لو لم أتوقع الموجة الهائلة ضد السامية . أود أن أبقى مع هؤلاء الذين سيضطهدون غداً » . هذه هي روح اليهودي السلالية ، لا تخور .

[وفي العدد القادم تعليق على مقال الدكتور السير كيث]

منابع النيل

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

لأنطون زكري

تتمة المقال

قال صاحب الأقاليم السبعة إن النيل يخرج أصله من جبل القمر من عشر عيون، خمس تجتمع في بطيحة، وخمس في بطيحة أي مكان منبطح من الأرض ثم يجتمع بعد ذلك الماءان، وذكر صورة جبل القمر، وإنه مقدس، وعلى رأسه شراريف (شرفات عالية)

حكى ذلك عنه الشيخ العلامة « شهاب الدين بن عماد » رحمه الله تعالى في جزئه الذي جمعه في النيل، وهو جزء لطيف جداً. وحكى فيه عن المسعودي أنه قال في كتابه (مروج الذهب) وأصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر، ومبدأ ظهوره من إثنى عشر عيناً. وجبل القمر خلف خط الاستواء، يعني الذي يستوي فيه الليل والنهار، وأضيف إلى القمر، لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة والبُدْوي والمحاق.

قال المسعودي فتنصب تلك المياه الخارجة من الاثنى عشر عيناً إلى بحيرتين هناك، وهو معنى كلام صاحب الأقاليم في بطيحة.

قال: ثم يجتمع الماء منها جارياً. فيمر برمال هناك وجبال ثم يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج، فينبع منه خليج ينتهي إلى بحر الزنج(١). انتهى ما أردته منه.

وممن قال إنه ينبع من جبال القمر السرج الكندي، كما نقله عنه ابن عماد في جزئه المذكور، فظهر بذلك أن أكثر المؤرخين على هذا القول، كما أشار اليه صاحب الأصل بقوله فيما تقدم ذكر غير واحد من المؤرخين.

وقال صاحب « الكردان »: وفي أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج، وهو بجبل (ق)، وأنه يخرق البحر الأخضر (٢) بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان، فيسير ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج.

---

(١) ويقيم الزنوج في الجزء الشرقي من أفريقيا المعروفة باسم زنزبار.

(٢) دعا جغرافيو العرب النيل الشرقي تارة البحر الازرق وتارة البحر الاخضر.

قال الحاكي لهذا القول ولولا ذلك يعني دخوله في البحر الملح ، وما يختلط به منه ، لما كان يستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته .

وقال قوم : مبدؤه من خلف خط الاستواء باحدى عشرة درجة . وقال قوم مبدؤه من جبال القمر ، وانه ينبع من اثني عشر عيناً . انتهى ما أردته منه .

وقال ابن عماد في جزئه المذكور ، وذكر بعضهم أن سائر مياه الأرض وأنهارها يخرج أصلها من تحت الصخرة(١) بالأرض المقدسة ، والعلم عند الله تعالى . انتهى . ولم يبين قائل ذلك ، وقد بينه في موضع آخر من جزئه المذكور فقال :

وذكر الثعالبي في قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة . انتهى ، ويدخل في اطلاق هذا القول النيل وغيره .

وذكر ابن عماد في جزئه المذكور عند كلامه في الاستدلال على أفضلية النيل على غيره من الأنهار ، ان النيل يخوض في البحر الملح ، ولا يختلط به ، بل يجرى تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء ، قال ولهذا يظهر لركاب البحر في بعض النواحي فيستقون منه للشرب وذلك في اماكن معروفة . انتهى .

ورأيت في مناقب امامنا الامام الأعظم والحبر المحترم الشافعي رضي الله عنه لأبي القاسم ابن غانم المقدسي حكاية عنه تدل على أن النيل يمر ببلاد الهند .

وكان ابن طولون قد سأل شيخاً كبيراً من علماء القبط عمره مائة وثلاثون سنة عن أشياء في أحوال مصر أين منتهى النيل في أعلاه ، فقال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الأرض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر ، وهي تحت الموضع الذي يسمى عند المنجمين الفلك المستقيم . قال وما ذكرت فمعروف غير منكور . قلت قد اختصر صاحب الأصل هذه الحكاية ، وقد نقلها الشهاب بن عماد في جزئه المذكور عن المسعودي فقال : قال المسعودي : « وكان أحمد بن طولون في سنة نيف وستين ومائتين بلغه أن رجلاً بأعلى مصر من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة ، من الأقباط ، ممن يشار إليهم بالعلم ، وإنه علامة بمصر وأرضها في برها وبحرها وأجنادها وأجناد ملكها ، وأنه ممن سافر الأرض ، وتوسط الممالك ، وشاهد الأمم في أنواع البياضان والسودان ، وأنه ذو معرفة بأنواع هيئات الأفلاك واحكامها . فبعث إليه أحمد وأخلى له نفسه ليالي وأياماً كثيرة يسمع كلامه وإيراده وجواباته فكان فيما سأله عن طول الأحابش على النيل وممالكهم

---

(١) معبد الصخرة في جامع سيدنا عمر بمدينة أورشليم .

قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك مختلفة ، كل منهم ينازع من يليه من الملوك. وبلادهم حارة يابسة . قال فما منتهى النيل في أعلاه . فقال البحيرة ؟ الى آخر ما ذكره عنه صاحب الأصل . والله أعلم .

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الأسواني في كتاب أخبار النوبة من أخبار النيل ، وما شاهدت منه ومن تشبعه وتقسيمه على سبعة أبحر من بدء علوه واجتماعه ببلدة مقره ، وتعطفه تعطفاً عجيباً قبلي مدينتهم وافتراشه ، وإنه يجري بحري « دنقله » حتى يكون ما بين شرقيه وغربيه نحو اربعين فرسخاً ، ويتضايق بعد ذلك حتى يكون عرضه دون الخمسين ذراعاً ، وتكون الجنادل معترضة في غير موضع منه حتى يكون انصبابه في بابين أو ثلاثة أبواب .

قال : وقلعة أصفوف أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب في النيل ، والماء ينصب من ثلاثة أبواب ، وربما يرجع الى بابين عند انحداره ، شديد الخرير عجيب المنظر لشخور الماء من علوّ الجبل وقبليه مرسى حجارة في النقل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعرف بيسير وهي آخر قرى ميرس وأول بلاد مقره .

« قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأسواني في كتاب اخبار النوبة عند ذكر ناحية يقرن مانصه » :

« وما رأيت على النيل ناحية أوسع منها وقدرت ان سعة النيل فيها من المشرق الى المغرب مسيرة خمس مراحل (١) الجزائر تقطعه والأنهار منه تجري بينها على أراض منحطة وقرى وعمائر حسنة . انتهى »

قلت وطريق الجمع بين هذا وبين ما تقدم نقله من صاحب خزانة التاريخ أن عرضه مختلف بحسب بلاد النوبة أيضاً . ففي بعضها كما قاله صاحب خزانة التاريخ أعني ثلاثة أميال فما دونها . وفي بعضها كما قال الأسواني أعني خمس مراحل وهذا جمع حسن ، ولا مانع من ذلك لأن سبيله المشاهدة والله أعلم .

قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة (٢)

---

(١) أي عبارة عن مائة وخمسين ميلا .

(٢) قبل الوصول الى سلسلة القاف الحرانية توجد جهة مظلمة تمنع الناس المرور وربما قصد المؤلف هذه البلدة القريبة .

قال ابو الخطاب: وخلف الظلمة ضياء . فسبحان العليم. وفي تاريخ ملوك مصر ان الوليد(١) أحد ملوك مصر من العمالقة كان يعبد القمر ، وهو أول من تسمى فرعون وأقام بمصر مدة ثم عنّ له أن ينظر مخرج النيل ويعرف مَنْ بتلك الناحية من الامم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ، ثم جمع جميع ما يحتاج اليه واستخلف على مصر عوناً ، وتوجه فمرّ على أمم السودان ومرّ في طريقه على ارض الذهب (٢) ، وفيها أمة عظيمة ينبت الذهب في تلك الأرض كالقضبان. ثم سار حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من جبل القمر وراء القصر الذي عمله هرمس (٣) ، وصعد على جبل القمر وراء البحر الزفتي الأسود. ورأى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق ، وأتاه من ذلك البحر روائح منتنة هلك بسببها كثير من أصحابه ، وذكروا أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قمراً الا نوراً أحمر مثل نور الشمس ، ثم توجه راجعاً الى مصر وأقام بها مدة ، ثم ركب يوماً الى الصيد فظفر به أسد فقتله ، ودفن في بعض الاهرام وملك بعده الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام .

قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه الكبير . وأما مايذكره بعضهم من أن منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولاً عظيماً وجواري حساناً وأشياء غريبة ، وان الذي اطلع على هذا لم يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين

قلت هذا الذي قاله الحافظ بن كثير رحمه الله لعله أشار به الى ما حكاه ابن زولاق في تاريخه عن بعض خلفاء مصر ، أنه أمر قوماً بالمسير الى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عالٍ والماء ينزل من أعلاه له دوي وهدير لا يكاد يسمع أحدهم صاحبه ، ثم ان أحدهم تسبب في الصعود الى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك ، فلما وصل الى أعلاه

---

(١) ان الوليد هو ابن سائس الذي ذكره غوغوريوس أبو الفرج في تاريخه المختصر عن الاسر وأنه من ذرية الملك ابن الليفاز وحفيد الاساير الذي جعل أولاده يقيمون في أدومية المجاورة لارض مصر وقبل عصر الوليد وفي عصر أبينا ابراهيم كان ملوك مصر يلقبون بالفراعنة .

(٢) روى الشريف الادريسي : كان أهالي تاكرور بلدة واقعة في نهاية أفريقيا الغربية يعتقدون أن الذهب نبات . وروى أحد كتاب العرب حادثة غريبة في بابها وأثبت أن الذهب نبات في غير أفريقيا . وفي سنة ٣٩٤ هـ . كان محمود بن سبكتكين السلطان الاول من الاسرة الجارنتندين يتنزه مرة في بلاد سجستان التي قهرها ، فوجد في أحد جبالها شجرة من الذهب الخالص وان طولها يمتد ثلاثة أميال تحت الجبال ، ولكن في عصر حكم ابنه السلطان مسعود حدثت زلزلة فقلبت هذا الجبل وزال المنجم الذهبي . اه .

(٣) يعتقد الشرقيون وجود ثلاثة أشخاص معروفين باسم هرمس وعاشوا في عصور مختلفة ، وان هرمس المذكور هنا ظهر بعد أبينا آدم بألف سنة ومشهور ايضاً باسم ادريس . اه .

رقص وصفق وضحك ثم مضى في الجبل ولم يعد اصحابه يعرفون ما شأنه، ثم ان رجل منهم صعد لينظر ففعل مثل الاول، فطلع ثالث، وقال اربطوا في وسطي حبلاً فاذا أنا وصلت الى ما وصلا اليه، ثم فعلت ذلك فاجذبوني حتى لا أبرح من موضعي، ففعلوا ذلك. فلما صار في أعلى الجبل فعل كفعلهم فجذبوه اليهم فقيل إنه خرس ولم يردّ جواباً فمات من ساعته، فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك. انتهى.

قال: وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب في النيل، والماء ينصب من ثلاثة أبواب، وربما يرجع الى باب بين عند انحساره، شديد الخرير عجيب المنظر لاندفاق الماء عليه من علوّ الجبل. وقبليه فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعرف بيسير، وهي آخر قرى مرسين وأول بلاد مقره

قال الوطواط الكتبي في كتاب مباهج الفكر إن طول مسافته ثلاثة آلاف فرسخ ونيف. وقيل إنه يجري في الخراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان شهرين، وفي بلاد الاسلام شهراً. قلت هذا القول موافق لما جزم به ابن زولاق في تاريخه.

وذكر صاحب درر التيجان أن من ابتدائه الى انتهائه اثنين وأربعين درجة وثلثي درجة كل درجة ستون ميلاً، فيكون طوله ثمانية آلاف وستمائة وأربعة وعشرين ميلاً وثلثي ميل على الفصل والاستواء، وله تعويجات شرقاً وغرباً فيطول ويزيد على ما ذكرناه. وقال صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق « وبين طرفي النيل مما ثبت في الكتب خمسة آلاف وستمائة ميل وثلاثون ميلاً ».

وذكر صاحب خزانة التاريخ: ان طوله أربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون ميلاً، وعرضه في بلاد الحبشة والنوبة ثلاثة أميال فما دونها، وعرضه ببلد مصر ثلثا ميل، ليس يشبهه نهرٌ من الأنهار. وفي تاريخ ابن زولاق ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل، يسير مسيرة شهر في بلاد الاسلام، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة، الى أن يخرج من جبال القمر خلف خط الاستواء. قلت ما حكاه صاحب الأصل في تاريخ ابن زولاق، ادعى أبو قبيل الأجماع عليه ولفظه كما حكاه بن عماد في جزئه المذكور ما نصه: « وأجمع أهل العلم على أنه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام الى آخر ما تقدم ذكره، وزاد فقال: وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر. انتهى والله أعلم.

انطون ذكرى

موسم العجائب

انطبل (مطاوع طبّـل) لبنان في الشهر الماضي بالثرثرة الطنانة الرنانة بأعاجيب القديس «شربل» أو شاربل الذي مات منذ نصف قرن ثم ظهرت من قبره نبعة لم تكن معروفة من قبل . فلما فتحوا القبر وهو في الـكنيسة أو عند الـكنيسة على قول آخرين ، ظهرت جثة القديس ولمّـا يفعل فيها البلى بعد . وما لبث المشاهدون أن رأوا الجثة تنضح عرقاً حتى ابتلّ كفنه وثوبه . وأحياناً كان يظهر العرق ، ممتزجاً بدم . وكانوا يغيرون قميصه مرتين أو ثلاثاً في اليوم ، ولا يزال يعرق وينضح دماً من حين إلى آخر . هذا مجمل الرواية عن جثة هذا القديس بعد نصف قرن من وفاته — شيء عجيب .

ومن لا يسرع لـكي يرى جثة هذا القديس وهي لا تزال كما فارقتها روحه منذ خمسين سنة . ومن يرى هذه الأعجوبة ولا يقول أن شربل هذا الذي كان راهباً وكاهناً قديس عجائبيّ . وكيف لا يكون عجيباً أمره ودمه لا يزال حيّـاً يسيل أحمر قانياً كما كان منذ خمسين سنة قبل أن يموت . أجل انه عجيب وعجيب — كذا تدفقت الروايات عنه في لبنان وسوريا ومصر والعراق إلى كل بلد يسمع الأشاعات باللغة العربية .

ولماذا لا يقال أن الراهب أو القسيس شربل هذا كان قديساً في حياته المطوقة بقصص التقوى وحولها هالة من القداسة . ولماذا لا يقال انه قديس لا يذعن لسنن الطبيعة ، بل سنن الطبيعة تخضع له وتأتمر بأمره وتفعل ما توحي جثته لها ناهيك عمّـا يشفيه عرقه من الأمراض وما يمسحه دمه من الأدران وما يغسله من الخطايا والآثام .

فلذلك جعل كثير من المصابين بالأمراض العقامة والمشوّهي الأبدان يتوافدون اليه للتبرك والاستشفاء . توافدوا من جميع نواحي لبنان حتى من سوريا ومصر والسودان. واللغط في سوريا ولبنان حتى في بيروت على قدم وساق ، اللغط بما فعل شربل القديس

من المعجزات فذاك كان أعمى فأبصر، وذاك كان أصم فسمع، وهذاك كان أحدب فاعتدل ، وهذاك كانت إحدى رجليه أقصر من الأخرى فطالت حتى ساوتها . وذاك كان مصدوراً فطاب، وتلك كانت عاقراً فاذا بها حامل ، إلى غير ذلك من الأقاويل العجيبة المدهشة.

وأغرب عجائب هذا القديس أن شيخاً يدعى يوسف حنون قضى حياته يعمل اسكافاً، وكان دميم الخلقة ، وقد وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيباً ، إذ بلغ من العمر عتيا . يقال انه الآن في الثمانين ولكنه لا يزال نشيطاً بعض النشاط ولم يتزوج ، دخل الى مقام هذا الراهب وركع وكان يصلي ، ويقول يا رب لماذا تحرمني حظي من شباب الحياة . امنحني نصيبي من شباب الحياة ومسراته . يا سيدي القديس شربل تشفع لي عند ربنا . الخ

وخرج الشيخ يوسف حنون فاذا هو معتدل القامة حالك الشعر ، وقد اندمج لحم وجهه، وانصقل عضل خديه، وزالت كل تجعدات محياه. وصارت الفتيات يتغامزون عليه. وقال أحدهم : من هذا؟ أليس هذا ابن يوسف حنون ؟ فقال آخر يوسف حنون لم يتزوج .

ومن يستطيع أن يكذب القائل وهو يقول لقد ذهبت بنفسي ورأيت بعيني . وأعرف فلاناً بعين عوراء وقد رأيته أخيراً بعينين كاللؤلؤ . وأعرف فلاناً كسيحاً وأخيراً رأيته يمشي أمامي ثم يركض معي . وأعرف فلاناً أعقد اللسان أو أبكم وإذا به اليوم يبز شيشرون في الخطابة . أجل لا يجسر أحد أن يقول أن هذه الأقوال المنقولة كلها أكاذيب ، والذين يروونها رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم . وان قلت إني لا أصدق ما لم أرَ بعيني. فيقولون لك اذهب الى ذلك المقام القدسي وانظر بعينيك .

قالوا إن الحكومة أوفدت لجنة من الأطباء ومعظمهم من أساتذة الطب الممتازين لكي يفحصوا الجثة ويحققوا ويشاهدوا العجائب بأعينهم وقيل عنها أن منهم الدكتور يوسف الحتي الأستاذ في الجامعة الأميركية ، ومتى عادوا من التحقيق نشروا تقريرهم . وها نحن منتظرون نتيجة التحقيق .

أما أنا العبد الفقير نقولا الحدّاد لا أصدق أن الدكتور حتي العالم الكبير ، ولا غيره من الأطباء يرضون أن يذهبوا الى مقام ذلك الوليّ لكي يحققوا في خرافة أو يعلنوا تقريراً في سخافة . ان علمهم يصدهم ونفسهم الأبية تترفع عن صغارة كهذه .

ويظهر أن هذا الربيع ربيع العجائب، فقد وردت لنا من شوف لبنان أخبار معجزة ليست معجزات شربل أمامها شيئاً . وتحرير الخبر أن قرب دير المخلص قرية وفي السهل الذي تحتها كنيسة صغيرة (كابيلا) بناها مطران في ملك له هنـاك ثم دفن فيها منذ سبعين سنة . وفي ٢٥ من شهر مايو كل سنة يقدّس خوري القرية قداساً فيها تذكاراً لذلك المطران . وفي الميعاد الأخير فيما كان الخوري يقدس وأهل القرية يسمعون القداس واذا مياه انبثقت من أمام باب الـكنيسة وجعلت تجري صعداً (لا نزولاً) حتى صارت تصب فوق في حديقة الى جنب كنيسة القرية الـكبرى . وكان الناس مدهوشين من هذا الينبوع العجيب ، وجري مائه الى فوق . وذاقوا ماءه فاذا هو زلال . ثم جعلوا ينبشون ذلك القبر الذي في الـكنيسة الصغرى . فما لبث النبع أن انقطع — واستمروا ينبشون حتى بلغوا الى مقرّ المطران ، واذا هو لا يزال جالساً على كرسيه كما أُجلس حين دفن (لأن العادة أن يدفنوا كبار الاكليروس جلوساً على كراسيّ) ولم يبلَ منه شيء . فعادوا وغطوه كما كان. فعاد النبع يجري جرياً ضئيلاً وصار الناس يستشفون بذلك الماء .

هذه أخبار أعجوبة المطران فلابيانوس . وهي أعجوبة تبز جميع أعاجيب شربل وأعاجيب كبير الرسل .

ولـكن هناك أعجوبة أعظم من عجائب القديس شربل وعجيبة المطران فلابيانوس . وهي ان أهل لبنان الذين يتبجحون بأنهم أرقى البلاد العربية ثقافةً وعلماً وعندهم كليتان للطب وكليات أخرى فيه — يصدقون هذه الأخبار ويتداولونها ويذيعونها حتى ملأوا بها جرائد بيروت وسوريا والعراق ومصر الى سائر البلاد العربية . يتداولونها ولا يخجلون . أليس هذا عجيباً ؟ . وبعض جرائد مصر ومجلاتها تزعم أنها أوفدت من قبلها مراسلين يدرسون أعاجيب مار شربل. ولا تخجل هذه الجرائد أن تنشر تقارير لفقها مراسلوها استهواء للقراء وهي تعلم ان عامة الشعب يصدقون ماتنشره الصحافة حتى ولو كان ضلالاً وتضليلاً . واذا قال لك القارىء : ياسيدي هـذه أخبار حققتها الجريدة أو المجلة وأرسلت رسلاً اخصاء لتحقيقها أفتكذبها ؟ فماذا تقول له ؟

اقول أن كثيراً من ضلالنا وجهلنا وغباوتنا ناشىء عن جريمة صحافتنا في النشر من

غير تحقيق قانوني . وما نكسبه من الثقافة الحقة نخسره ونكسب أكثر منه الخرافات والترهات عن يدجرائدنا ومجلاتنا. فرفقاً ياقوم بناشئتنا التي تتثقف الآن على الاسس العلمية اليقينية، ورحمة بسمعتنا وشرفنا . أن يذاع عنا أننا منغمسون بهذه الترهات والخزعبلات لعارٌ علينا وعلى اولادنا ولسوف يُعيَّر به جيلنا القادم

يالقومي — ان الله لما خلق هذه الاكوان جعل لها سنناً ونواميس أبدية تسير عليها . فمنذ نشأ الكون الأعظم حتى الساعة لم تحد أجزاؤه عن هذه السنن قيد شعرة. ففي كل ٢٤ ساعة تدور الارض على نفسها دورة كاملة، فيأتي الصباح في ميعاده والمغرب في حينه ، وتدور الأرض حول الشمس كل عام مرة ، فيأتي كل فصل من فصول السنة في ميعاده . وهكذا دواليك: فلا يمكن أن يتخلف حادث عن ميعاده ثانية واحدة. وهكذا ينبت من حبة الحنطة سنابل قمح لا شعير، ويثمر التين تيناً والعنب عنباً . ولا ينبت من العوسج تين — يستحيل ان يتغير هذا النظام الذي عمله الله . ولا يمكن ان يخضع نظام الله لمشيئة القديس شربل، ولا يستطيع القديس شربل لا في حياته ولا روحه بعد مماته ان يغير شيئاً من سنن الله ولا أن ينقض قضاء الله، ولا يمكن الله ، ان ينقض حرفاً من ناموسه لأجل خاطر شربل . كذا سنّ . وكذا يكون . ولا يستطيع كائن على الارض او في السماء او في الكواكب والنجوم أن يرد قضاء الله . أو يغير سنة الله في خلقه

فحاذروا ان تشركوا الموتى في قضاء الله . فهذا الاشراك اثم عظيم لايغتفر

لا أظن شربل أقدر من سيدة لورد على عمل الخوارق . ومنذ بضع سنين ارسل معهد ركفلر بعثة من العلماء على اختلاف انواعهم الى باريس لكي يدرسوا حقيقة أعمال سيدة لورد . فذهبوا وحققوا واطلعوا على السجلات وقابلوا بعض الأشخاص الذين زُعم أنهم شفوا على يد سيدة لورد فاذا ما قيل بشأنهم أولاً وآخراً افك . وثبت للبعثة ان سيدة لورد اداة نصب ، وان عملياتها خزعبلات.

ولا يخفى انفرنسا تعتبر بلاد الثقافة العالية وفيها هذا الافك فلا بدع ان يكون لبنان نداً لها في الثقافة والافك وقد تثقف على يدها كما تعلمون

العزلة في رأس الجبل

نقاش بين ناسك وصحفي

٦ — صلة ما انقطع

من ينتفع من الحرب

في صباح اليوم الثالث بعد أن تناولنا الفطور وجلسنا مجلسنا المعتاد . قلتُ : لم أنم ماجلاً لأني لم أتعوّد النوم قبل الهزيع الثاني من الليل ، فأرقت نحو ساعة كانت فيها فكرة الحرب تجول في خاطري .

قال : الحرب ؟ الحرب . وق الله المدنية منها ، انها انتحار المدنية السكرانة بخمرة انتصارها على الطبيعة .

قلت . يقولون : الحرب احتدام تنازع البقاء . فهي إذن سنة طبيعية لا بد منها .

قال : نعم . هي سنة طبيعية فقط . لا سنة اجتماعية أيضاً . بل تلك نقيض هذه . ولم تزل الحرب تحدث الى اليوم على الرغم من تقدم النوع البشري اجتماعيًّا . لأن غريزة التنازع لا تزال غالبة فيه . لا يزال الانسان وحشي الطبع أكثر مما هو انساني الخُلق . وعلى الرغم من أن الحرب كانت قديماً حرفة الشيوخ والأمراء والملوك لأجل الكسب ، فما كانت في زمن من الأزمان مكسبة بل كانت خسائرها على الغالب أكثر من أرباحها . كان كدر لعومر الملك البابلي يغزو كل سنة أمة من الأمم . فغزا نحو ٢٥ غزوة . وكان يفرض الجزية على البلاد التي يغلبها . فكان هو شخصيًّا يتنعم بأرباح النصر . ولكن شعبه لم ينل من انتصاراته ما يساوي خسائره في الحرب . ونابوليون اجتاح أوربا في مدة بضع عشرة سنة وسيطر عليها . فهل حسنت حال الشعب الفرنساوي من جراء انتصاراته؟ ما كانت حروب نابليون الاّ فتكاً بالشبيبة الفرنساوية وسائر الشبيبة الاوربية .

ادرس جميع حروب التاريخ تجد أنها كانت تفضي الى نفس هذه النتيجة . خسارة

فظيعة للغالب وللمغلوب جميعاً . هي جنون بشري مطبق . تنازع الحيوانات رحمة إذا قورن مع حروب الانسان ، لأنه بقدر ما ارتقى الانسان ارتقت فنون تنازعه نحو قة الهلاك والفناء .

قلت : ترى ، ألا يفهم الناس ولاسيما ساستهم هذه الحقيقة الناصعة التي تفضلت بتبيانها

قال : طبعاً السواد الأعظم منهم يفهمونها . ولكن الذين يثيرونها هم الآلهة — الآلهة الذين خلقهم ابن آدم . راجع ميثولوجيا اليونان والرومان حتى العبران تجد أن الحروب كانت بين الآلهة وجنودها البشر . ولا تزال كذلك حتى اليوم .

استغربت قوله هذا وقلت : أجل كانت بعض آلهة اليونان والرومان وغيرها تحارب بعضها بعضاً . ولكني لا أرى صلة بين حربها وحروب البشر .

قال ، بلى . حتى آلهة العبرانيين والمصريين والفلسطينيين والكنعانيين وغيرهم كانت تتحارب حروباً عنيفة وتقع ويلاتها على اولئك الشعوب . لا تجهل أن موسى لم يخرج بني اسرائيل من أرض مصر الا بعد أن حارب إلهه آلهة المصريين وضربهم عشر ضربات . لم تستطع آلهة المصريين ردها . فكان موسى مندوب رب اسرائيل وكهنة مصر وسحرتها مندوبي آلهة مصر . فغلب إله موسى آلهة فرعون . ولما دخل الاسرائيليون ارض الميعاد كان يهوه (اله اسرائيل) رب الجنود المتقلد رتبة جنراليسيمو يحارب آلهة الفلسطينيين والكنعانيين والحثيين الخ . وكان كلما غضب يهوه على بني اسرائيل لسبب زيغانهم عنه سلط عليهم هؤلاء ، حتى إذا تابوا عاد فأنجدهم . وحكاية سقوط اريحا وايقاف الشمس يوماً وغير ذلك ترينا كيف أن يهوه كان يحارب مع اسرائيل .

ولما غلب الفلسطينيون بني اسرائيل غنموا منهم تابوت العهد وأودعوه في هيكل إلههم داجون . ولكن يهوه رب جنود اسرائيل أقوى من داجون ، فلم يسمح بأن يكون تابوت عهده بين أيدي أعدائه . ففي صباح اليوم التالي وجدوا تمثال داجون واقعاً عند أرجل تابوت العهد . فأوقفوه ثم وجدوه في اليوم الثالث واقعاً محطماً . فخافوا من قدرة إله اسرائيل الذي غلب إلههم ، فردوا تابوت العهد الى أصحابه .

فترى من هذه الأساطير العبرانية أن الآلهة منذ القديم كانوا يتحاربون بجنود رعاياهم

ولهذا كان الاسرائيليون يلقبون إلههم « رب الجنود » أي إله حرب يقودهم في جميع حروبهم .

قلت : طبعاً هذه ميثولوجيا أي أساطير قديمة . أما الآن ...

فقاطعني قائلاً : الآن ككل زمان ، لا تزال الآلهة تحارب حروباً شراً من الحروب القديمة . راجع تواريخ الحروب القديمة والحديثة تجد معظم أسبابها دينية مباشرة أو غير مباشرة ، أي أنها صادرة من شهوات نفسانية ، ولكنها كانت تتوارى وراء غايات دينية ظاهراً أو باطناً .

لطالما شبت الحروب لأجل العقائد الدينية. وكانت أشهرها الحروب الصليبية. وحتى العصر الأخير ما زال الهلال والصليب يتحاربان . ففي حرب البلقان كان ملك اليونان يطوف في مركبته في الشوارع وأيقونة المصلوب على صدره يستفز بها الشعب للقتال

ولما فترت النعرة الدينية عند أمم الغرب أنشأ آلهة العصر ديناً جديداً تتفانى لأجله الأمم هو دين « الوطن »، فكان شراً من الديانات السموية في تضحية شبيبات الشعوب على مذابح آلهته .

ومع ذلك لا يزال الكهنة حتى الآن يرافقون الجيوش ، حتى الكهنة الذين يمثلون الإله القائل : « لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر » . ولا يزال رجال الدين الروحيون يصلون الى الله أن ينصر جنودهم على أعدائهم . مع أن إلههم الآن يختلف عن إلـه اسرائيل يهوه رب الجنود بأنه إله عمومي لجميع الأمم على السواء . ولذلك يضعون الله الآن في مأزق حرج لم يضع بنو اسرائيل يهوه في مثله . لأن الله العام أصبح لا يدري أي العدوين يستجيب صلاته

***

وبعض المؤمنين الذين يستهجنون هذا المنطق المتناقض يذيعون دعاية السلم ضد الحرب حتى ولو كان بالتسليم للعدو عملاً بقوله « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » ، على أن أحدهم أخذ إذناً من الله رب الجميع أن يترك سياسة « حول خدك الأيسر » ويعود الى دستور يهوه رب الجنود .

فقد روي ان اكليريكيًّا ويلسيًّا كتب لسجينٍ سُجن بسبب دعايته للسلم ضد الحرب يقول له : —

« تسألني : هل المسيح إله حرب ؟ فأجيبك : اقرأ سفر يشوع الاصحاح الخامس عدد ١٥ (١) والاصحاح السادس (٢) فترى أن يسوع جاء الى العالم لكي يكون قائداً حربيًّا على شعب اسرائيل . وصفات يسوع لم تتغير حتى اليوم . وعظة يسوع على الجبل انما هي دستور للمملكة الجديدة . ولكن لما رأى الله أن الناس رفضوا هذا الدستور الجديد اضطرَّ أن يرجع الى دستور العهد القديم(٣) بصفة كونه يهوه رب الجنود لكي ينصر شعبه على أعدائه » . انتهى كلام الاكليريكي الويلسي .

فأي الخصمين هو شعبه الخاص الذي ينبغي أن ينصره ؟

وبقيادة يهوه يثير الحرب الآن آلهة ميثولوجيا العصر الذي أشرنا إليهم سابقاً مثل اسكندر ، وهانيبال ، وقيصر ، وجنكيزخان ، وشارلمان ، ونابوليون ، وغليوم ، وموسوليني ، وهتلر . الخ . كل هؤلاء كانوا آلهة يتعبدهم الجيش ويعظمهم الجمهور . وبعد دهر من الزمان يصبحون آلهة كجوبيتر ومارس ونبتون .

قلت : ولكن ما غرض هؤلاء القواد الحربيين الذين تسميهم آلهة من هذه الحروب المضنية التي تربو خسائرها على أرباحها ، وما المحرّض لهم عليها ؟

قال : الغرض والمحرّض شيء واحد هو اشباع شهوة السؤدد في أنفسهم . هي أقوى شهوة في الانسان . متى شبع الانسان من غذائه الجسدي جاع الى غذائه النفساني وهو هذا السؤدد الذي يشمل المجد والقوة والجبروت .

قلت : ولكن حروب اليوم لم تعد تجدي كحروب الأمس . أفلا يفطن هؤلاء الآلهة الشهوانيون أن حروبهم خاسرة على كل حال ؟

---

(١) فقال رئيس جند الرب ليشوع إخلع نعليك من رجلك لان المكان الذي أنت واقف فيه مقدس . ففعل يشوع كذلك

(٢) الاصحاح السادس : كانت أريحا مقفلة بسبب بني اسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل . فقال الرب ليشوع . أنظر قد دفعت الى يدك اريحا وملكها جبابرة البأس . تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب .. الى آخر حكاية سقوط أريحا بمعونة رب الجنود

(٣) دستور عين بعين وسن بسن

قال: الى الآن لم تزل شهواتهم تعمي أبصارهم. فهم مغترون بمدنيتهم التي تغدق عليهم من حسنات علومها آلات الحرب الجهنمية المفنية!. ان الحيوانات العجماء علمت – والانسان لما يعلمْ بعد – ان المدنية الانسانية جاءت حاملة بين أذيالها أسباب فنائها. فاسمع حكاية الحيتين

حرب التفاني

كانت الحدأة مطلة من عشها في الشجرة فأبصرت أفعى تحتها تتحين الفرصة للتسلق على الشجرة وغزو فراخ ذلك العش. فالحدأة ربطت جأشها وقالت للأفعى: أظنك حديثة العهد في هذه الناحية ياهذه والا لما جئت الى هنا، لأن أفعى أخرى سبقتك وغزت جميع العشوش التي يمكن الوصول اليها. فليتكِ تعبرين النهر الى العبر الآخر حيث تستقلين بتلك المنطقة البكر وحدكِ فهي غضة الأشجار. وأشجارها ملأى عشوشاً. أطير الى هناك وأرشدك الى حيث يكثر صيدك، فاتبعيني عبر النهر.

فشكرت لها الأفعى هذه النصيحة وقالت: أخاف أن أتعب قبل أن أصل الى الشاطىء الآخر

فقالت لها الحدأة، أرافقك فوق الماء فكلما شعرتِ بتعب انذريني فأمسك ذيلك بمنقاري وأجرك مسافة ترتاحين فيها.

وما بلغت الأفعى الى الشاطىء حتى كان التعب قد أنهكها، وأما الحدأة فما لبثت أن عادت أدراجها وقصدت الى الأفعى المستوطنة في الغابة الأولى وقالت لها: — أود أن أقدم لك خدمة جليلة جزاء عفوك عن عشي.

فقالت الأفعى الأخرى: ماذا؟

قالت: اسرعي عبر النهر الى الغابة الأخرى حيث قد عبرت اليه أفعى أخرى غريبة لكي تتمتع بالعشوش التي فيه. ولعلها وصلت منهوكة القوى لأنها ضعيفة وصغيرة. وأما أنتِ فتسطيعين أن تسبقيها وتطرديها وأنا أساعدك كلما تعبتِ فأمسك ذيلك بمنقاري وأجرك الى أن تبلغي الى الشاطىء.

— شكراً. على بركات الله.

وكان ما اتفقتا عليه. والتقت الأفعيان عند الشاطىء. ولما وقعت العين على العين وثبت كل منهما على الأخرى ثم التفت كلٌّ منهما على الأخرى فاغرتين شدقيهما فقالت هذه لتلك:

دعيني. هذه منطقتي

— بل هي منطقتي. وأنتِ دخيلة هنا. ترجعين من حيث أتيتِ أو آكلكِ قبل أن تأكلي رزقي.

وفي الحال انحلت احداهما عن الأخرى وطفقت كلٌّ منهما تبلع ذيل الأخرى فأصبحتا كلتاهما كدائرة . وما زالتا تبتلعان كل منهما الثانية والدائرة تضيق الى أن صارت الدائرة نقطة . ثم اختفت النقطة اذ اختفت كل منهما في بطن الأخرى . ولم يبق شيء منهما .

وكان نسر فوقهما يشاهد هذه المعركة الغريبة الى نهايتها العجيبة ، فالتفت الى الحدأة اذ كانت تشاهد المعركة على شجرة أخرى وقال لها ، لقد خدعتني يا ماكرة اذ دعوتني لوليمة على أشلاء هاتين الأفعيين . ولكن انتهت المعركة بفنائهما جميعاً . كيف يمكن هذا ؟

فقالت الحدأة : لو لم أشاهد معارك تنتهي بمثل هذا الفناء لما حرّضت الأفعيين على القتال :

— كيف ذلك ؟

— ألا ترى معركة البشر الآن تنتهي بالفناء . فاذا كنت تنتظر أن تتغذى من أشلاء قتلى الناس تخيب أملاً . الأفضل أن نجد لنا يا صاحبي مسترزقاً آخر .

***

قال الناسك : هذه حقيقة عرفها الطائرات ولم يعرفها الانسان —

هكذا انتهت معركة الحيتين كما تنتهي حروب هذا الزمن بالفناء لا غالب ولا مغلوب. والسبب فيها هو غرور آلهة العصر الذين تألهوا وسيطروا على سذاجة الجماهير .

قلت : يقولون ان الحروب لازمة للتوازن بين دائرة العمران وتكاثر السكان حتى اذا ضاقت الدائرة وازدحم فيها السكان خففت الحروب هذا الزحام .

قال : عذراً . هذه نظرية . لله ما أسخف عقل قائلها . الرزق موفور للإنسان أكثر منه للحيوان . والعلم الحديث يستطيع أن يحوّل صخور الجبل الى بشر ما دامت هذه الصخور تحتوي على الكربون ، وهواء الجوّ يحتوي على الأوكسيجن والكربون والنيتروجن ، وماء البحر يحتوي على الأوكسجن والهيدروجن ، وسطح الأرض لم يزل يسع ويغذي عشرة أضعاف ناسها . وعلم الكيمياء يستطيع أن يبتدع من هذه المذكورات أحياءً يغذي بعضها بعضاً

فوجمت برهةً وأنا أفكر وهو يلقي نظرةً على مزرعته الى أن قلت : لله ، أما من وسيلة لرد هذا الانسان الأحمق الى عقله وصوابه وتفكيره ببلايا الحروب ، عسى أن يتوب عنها ويعدل الى السلام بنظام عادل ؟

قال : يظهر أن الآلهة الصالحين يئسوا من اصلاح الجنس البشري الآن . فاليك خبر ماذا كان من مؤتمرهم بهذا الشأن .

مدفعية النباتات الفطرية

ليست للحرب بل للاستعمار

ما من اختراع اخترعه الانسان الاّ سبقته الى مثله أو ما يشابهه الأحياء الأخرى من نباتات وحيوانات . وأغرب الاختراعات في ظني اللاسلكي أو الراديو . وقلَّ من يعرف أو يخطر له ان كثيراً من الحشرات سبقت الانسان اليهِ . فان ذكورها تهتدي الى اناثها عن بعد سحيق بحاسة لا تزال مجهولة . وقد اختبر هذه الظاهرة الحشَرية عالم مدقق في علم الحشرات اذ جمع طائفة من اناث نوع من الحشرات الطائرة من غابة وعاد بها الى منزله على بعد بضعة أميال من الغابة وحبسها في قفص كبير من الأسلاك الدقيقة . وفي اليوم التالي رأى عشرات من الذكور رابضة على أسلاك القفص . فطرد هذه الذكور . ثم نقل قفص الأناث الى ناحية لا تهب الريح منها الى الغابة بل بالعكس تهب من الغابة الى القفص على ظن أن الذكور تهتدي الى اناثها بواسطة رائحتها التي تنقلها الريح . فكانت النتيجة واحدة اذ جاءت الذكور من الغابة وتجمعت حول القفص . فبقي سر الاتصال بين الذكور والأناث على ذلك البعد أغمض من سرّ الراديو . والراجح عندي ان لهذه الحشرات جهازاً عصبيًّا كهربائيًّا كما للانسان ، فتصدر منها ومضات غير منظورة أو موجات كهربائية قصيرة جدًّا يتلقاها الذكر ويهتدي بها الى الأنثى . وما يسمونه توارد الخواطر في البشر Telepathy هو من هذا القبيل فان دماغ الانسان راديو لاسلكي . ولهذا بحث خاص قد أعود اليه في حين آخر

والطيران ؟؟ فقد سبق الطيرانُ الانسان اليه كما سبقه في الارتقاء من ذوات الفقار من زحافات وغيرها

والغوّاصات ؟؟ وقد سبقت الانسان اليها حيتان البحر التي تدمر المراكب والسفن الصغيرة . وهناك حيوانات بحرية وبرية معاً

والنور الكهربائي ؟ فقد سبقت الحشرة المسماة « سراج الليل » (وهي الحُباحِب) وبعض اسماك البحر الانسان اليه أيضاً. ثم ماذا ؟

والصبيدج حيوان بحري معروف انه ينفث حبراً اسود يعكر صفو الماء بحيث يضل عنه خصمه، كما تنفث بعض أنواع المدافع دخاناً يكدر صفاء الجو فلا يعود الخصم يرى خصمه

وهل كنت تعلم ان هنـاك بعض أنواع النباتات الفطرية قد سبقت الانسان بضرب المدافع وقذف القنابل الى مسافات مختلفة من بضعة قراريط الى بضع عشرة قدماً ؟

واخالك تسأل على الفور كيف ذلك ؟ امجازٌ هذا القول ام حقيقة ؟ أجل هو حقيقة. يوجد نوع من الفطريات من طائفة « المشروم » Mashrom ليس له اسم عاميٌّ عندنا وانما اسمه العلمي Sphalorobdus وتحته صنوف مختلفة . وهو معلوم ان هذه الاحياء الفطرية تعيش على بقايا المواد العضوية الميتة، وتأخذ منها المواد النشائية والسكرية اللازمة لتوليد الطاقة فيها، ولذلك لا تحتاج الى الخيضور Chlorophyll الموجود في النباتات الأخرى وهو الذي يستخدم نور الشمس لتركيب المواد السكرية والنشائية في النبـاتات . ولذلك ليس للفطريات اللون الأخضر الذي لسائر النباتات

لهذا الفطر المدفعي جهاز خاص لقذف قنبلة أو « كبسولة » منه تحتوي على الوف بزيرات. هذه القنبلة كروية الشكل قطرها نحو ملليمتر وربع. تـقذَف من اسطوانة عمقها نحو ٤ أو ٥ ملليمترات وقطرها كذلك . هي المدفع . وكلا المدفع والقنبلة هما ثمرة هذا الفطر . والخيوط Myeeliums والبذيرات Spores التي فيها ميكروسكوبية الحجم

ليس لمدفع هذا الفطر بارود أو أية مادةّ منفجرة لقذف قنبلة . وانما له جهاز من نوع الأجهزة القديمة لقذف القذائف، كالمنجنيق لقذف الحجارة الضخمة، وكالقسي لرمي السهام. فاذا مشت حشرة على هـذا النبـات الفطري المذكور آنفاً باسم سفيروبولوس ، أو اذا دغدغته بقشة أو بأي شيء مهيج، برزت ثماره الى سطوحه كما تبرز المدافع من الحصون. وفي كل ثمرة مدفع محشو بقنبـلة . ثم ينقلب غلاف الثمرة الى الوراء بحيث أنه يترك فوهة المدفع بشكل نجمي تظهر من خلال القنبلة . وما هي الا ثوانٍ أو دقائق حتى تنقذف القنبلة على بعد سنتيمترات أو اقدام .

قبل الانفجار أو الانقذاف ترى القنبلة جيداً بشكل كرة غائصة في سائل في قعر اسطوانة المدفع الذي يُرى بشكل كأس . واذا فحصت هذه الكأس بالمجهر (الميكروسكوب) وجدتها مبطنة بنسيج متصل الحواشي بشفة الكأس من فوق . فكأن هذا النسيج كيس مبطن للكأس . والقنبلة والسائل المحيط بها مودعان في هذا الكيس .

فالأمر الذي يحدث حين حدوث الانفجار أو القذف هو أن هذا الكيس المبطن المدفع من الداخل ينكمش أو ينقلب فجأة على نفسه الى الخارج بسرعة لا تقاس بحيث يصبح باطنه ظاهره . فتقذف القنبلة والسائل الى الخارج ، ويبقى هذا الكيس وقعره كقبة فوق فوّهة المدفع . يحدث هذا الانقذاف بصوتٍ مسموع كصوت « زنبلك » أفلت من قيده : وقد قرّر رجينلد بولر الذي كان يبحث في هذا الفطر ان هذا الانقذاف يستغرق من الوقت نحو جزء من ألف من الثانية بسرعة عظيمة جدًّا .

ان الذي يتحرك هذه الحركة السريعة انما هو ذلك النسيج الكيسي كأنه مادّة مرنة فلتت من قيدها . وبعد الانقذاف ترى هذا الكيس كأنه قبة محدَّبة على فم الاسطوانة المدفعية . لكل مدفع قذيفة واحدة فقط .

ما الذي يقلص هذا الكيس بهذه السرعة ؟ وما هو ميعاد تقلصه ؟ هذا سؤال لابدّ أن يخطر على بال كل قارىء .

متى قاربت الثمرة دور النضج برزت الى سطح نباتة الفطر . وربما كانت الدغدغة بالقشة أو بمشي حشرة على النباتة ضرورية لتحريض هذه البزور لكي يتم النضج النهائي فيها . متى تمّ النضج حدث القذف السريع على نحو ما تقدم . فاذا لم يقترب نضج الثمرة أي اذا لم يصل الى الحد المقرَّر فلا تبرز الثمرة الى السطح . واذا لم يتم النضج نهائيًا فلا يحدث القذف ، لأن الطبيعة جعلت تمام النضج الوسيلة الفعالة لانكماش الكيس أو تقلصه ، كما أن بلوغ عقرب الساعة الى تمام الساعة يؤذن لزنبلك القرع أن يقرع أرقام الوقت مثلا .

ولا بدّ أن يسأل القارىء ما الغرض من قذف هذه القنابل ؟ أو لماذا تقذف النباتة بزراتها الى مكان بعيد ؟

الغرض هو استعمار بقعة من الأرض غير البقعة التي تكون الأم فيها ، وإلاّ لسقطت البزرات كلها حول أمها وزاحمت بعضها بعضاً فلا تنبت منها إلاّ بضع كانت أسعد حظًّا من غيرها بالانتفاع من البيئة . ولكل فعل سبب وحكمة ، هذه حكمة مدبر الكون .

لم يَنْتَبِه الى هذا الفطر العجيب الفعل الاّ حديثاً ، فاستلذ علماء النبات والزراعة البحث والتجارب فيه ، فجعل بعضهم يربونه ويحسنونه حسب أصول التربية الزراعية ،

حتى استطاع بعضهم أن يحصل منه على فطر تندفع قذائفه بضعة أمتار

وأول من اشتغل فيه الدكتور مولر من كندا فبلغت قذيفة فطره خمسة قراريط واشتغل « ماس » في انكلترا فيه فبلغت قذيفة فطره قدماً . وبعض علماء الألمان أبلغوا القذيفة نحو متر . ولكن بوللر اختبر هذا الفطر في كنيورا (كندا) فبلغت القذيفة نحو ١٥ قدماً أي خمسة يردات .

واشتغلت في هذا البحث الآنسة ليڤا ووكر من جامعة نبراسكا في الولايات المتحدة فيما عثرت عليه من فطر السفيروبولس المذكور وربته هناك فاستطاعت أن تحصل على قذائف عمودية ، أي قذائف تنقذف الى فوق على ارتفاع ١٤ قدماً وخمسة قراريط . وإذا كان زرع منه موضوعاً على مائدة ترى القذائف منه تتناثر الى السقف وتصدمه على ارتفاع ٧ أقدام

ووضعت الآنسة ووكر وضعاً أفقيًّا على زرع هذا الفطر حيث يتجه مدفعه اتجاهاً أفقيًّا . فكانت القذيفة تصيب جدار المكان الداخلي على بعد ١٧ قدماً ونيفاً وما تجاوزت قذيفة منها فم المكان . وفي الوضع العمودي حصلت على قذيفة على ارتفاع ١٤ قدماً وخمس قراريط . ولكن الدكتور بوللر الكندي وهو في جامعه نبراسكا أيضاً كان يحصل على قذائف عمودية على ارتفاع ١٧ متراً و٣ قراريط .

وكان نباتيٌّ هاوٍ اسمه بترا قد اكتشف طريقة صناعية لتحريض السفروبولس على قذف قنابله من غير انتظاره المحل ساعة أو ساعات للقذف الطويل. فاستعمل الدكتور بوللر هذه الطريقة فنجحت في قذف القذائف على ارتفاع ١٧ قدماً .

وفي المدة الأخيرة كانت تربية الفطر هذا موضوع مباراة بين نباتي انكلترا وكندا والولايات المتحدة . فقد فاز الاميركان المتسابقون منهم فيها بالأسبقية . أليست الولايات المتحدة سابقة في كل شيء بالضخامة والاتساع والارتفاع والسرعة والقوة ؟ فلا بدع أن تسبق في مضمار الفطر المدفعي .

* * *

وهناك أنواع من الأشجار الصغيرة أو الأنجم تقذف بزورها الى مدى بعيد . وقد دلّ النباتي النمساوي الشهير فون باريلون الى أربعة منها بالأسماء اللاتينية من طائفة واحدة ، والى أربعة أخرى من طائفة أخرى تقذف قذائفها من ٤٩ الى ٥٠ قدماً ، أي نحو ١٥ متراً . ولكن هذه النباتات كبيرة جدًّا بالنسبة الى الفطر سفروبولس . ولهذا يعتبر هذا الفطر أقدر منها على القذف بالنسبة الى الحجم . وانما تلك تمتاز بأن بزورها أكبر وأثقل .

وكاتب هـذا المقال شاهد في احدى نواحي لبنان نباتاً سنويًّا يرتفع نحو متر عن الأرض وينتج ثمراً بحجم بيضة العصفور وشكله . وهو يحتوي على عدد كبير من البزور في سائل أصفر شديد المرارة . والأهالي يسمون هذا الثمر « خيار الحمار » وبعضهم يظنه الحنظل . ولكن شكله وخصائصه لا تطابق وصف الحنظل الطبي المعروف . فليس هو إياه .

هذا النبات يقذف ثماره بزخم شديد الى مسافة عدة أمتار . فاذا وقفت في الحقل بين هذه النباتات (الانجم) في زمن نضجها ترى الثمار تتقاذف كل هنيهة بعد أخرى هنا وهناك . حتى إذا أصابت احداها يد انسان مثلاً آلمته قليلاً . تقذف هذه النباتات قذائفها بقوة (غاز) بخار يتولد في بطن الثمرة نفسها فتنفتح به ، حتى متى كثر البخار في باطنها اشتد ضغطه فيدفع المشيمة العالقة بأصلة النباتة فتفلت الثمرة من المشيمة وتندفع بزخم شديد وتندلق البزور في نهاية الانقذاف على الأرض حيث تتهيأ للتفريخ في الفصل التالي من السنة . هذه القذائف الثمرية تشبه القنابل المنفجرة أو قنابل اليد المسماة «رمانات منفجرة» أو « قنابل رمانية » .

فهذه النباتات الفطرية وغير الفطرية قد سبقت الانسان في اصطناع المدافع والقذائف منذ دهور ، ولكنها لا تقصد بها محاربة غيرها حتى ولا الدفاع بها عن نفسها . وانما هي تقصد المنافسة في الاستعمار فتبعث ببنيها (بزورها) الى مواطن أخرى تستعمرها لكيلا تهلك جميعاً وهي متزاحمة في مستعمرة واحدة غير كافية لاعالتها

اذن فالاستعمار سنة الله في خلقه . فلا ينكر الاستعمار على النبات ، حتى ولا على الحيوان والانسان . وانما ينكر على الانسان أن يحتل شعبٌ منه بقعة من الأرض ويُستهلك أهلها أو يطردهم منها الى حيث لا مقام لهم ويستغل أرضهم ، أو انه يستعبدهم ويشغلهم كما يشغل البهائم

النباتات اجتماعية عاقلة لكي تتفق على تدابير يشترك فيه الجميع على تحصيل أود الحياة . وانما البشر عاقلون يستطيعون أن يتفقوا على تدبير يمكنهم أن يعيشوا به جميعاً عيشة راضية من غير أن يقتل بعضهم بعضاً ويفني جانب منه جانباً آخر ، أو أن يستعبد فريق منهم فريقاً آخر . فأين الحكمة البشرية إذن . يلوح لنا أن النباتات الفطرية أعقل من الانسان

بلوطارخوس اليوناني

وكتابه التراجمات والسير

هذا كاتب كان حقيقاً أن يذهب سمعه بيننا كل مذهب ، وأن يبلغ اسمه من الذيوع مبلغ الذين طارت شهرتهم من كتّاب العرب الامجاد ، وكتّاب الغرب الأفذاذ ، فيكون على ألسن الأدباء منا والمتأدبين مذكوراً ، وفي مجالس العلماء ومذكرات المتعلمين معروفاً معدوداً

وان كتابه (التراجم والسير) كان جديراً أن لا يكون معاشر المترجمين والناقلين لاسفار الأولين والمحدثين من نوابغ وعباقرة الغرب بطاء في نقل هذا الكتاب الجليل ؛ وانه كان ينبغي أن يتبوأ مكانه في صفوف خزائن الكتب العامة والخاصة في ديارنا ؛ وانه كان ألزم ما يلزم ذكره من بين ما نذكر من أسامي الكتب ، عيونها وبدائعها التي ينشرها الناشرون ويطبعها الطابعون .

ولعمري انه لدرة عالية السناء لألاءة الضياء في عقد جلائل المصنفات ، هو حريٌّ بأن يقتنى وان يحصى في الذخائر والنفائس . فما أحوجنا الى امثال هذه الكتب التي نتلو فيها ذكر العظماء ، وسير النبغاء ، فيجد فيها رجالنا ، ولا سيما فتياننا ، الأُسى الطيبة ، والمثل العالية ، فيحتذون حذوهم ، ويقتدون بحسن بلائهم ، وعجيب صنيعهم ، ومجيد مآثرهم ، وشدة اخلاقهم ، وعلو نفوسهم .

ولد بلوطارخوس المؤرخ الكبير والكاتب الأخلاقي الذي يعد بألف من الكاتبين ، في مقاطعة بيؤتيا Béotie في بلاد اليونان في ما بين عامي ٤٥ و ٥٠ م . في عهد الامبراطور كلود الروماني . ومن فجائع الدهر بالكتب أن بلوطارخوس كتب سيرته بقلمه في كتاب فقد في المفقودات .

تلقى مبادىء علومه في مسقط رأسه كيرونيه احدى مدن بيؤتيا ، ثم شخص الى أثينا فدرس الطب على اونيزوكرات ، وعلوم اللغة والبلاغة على اميليانوس ، والفلسفة على امونياس

حتى اذا نقع من هذه العلوم غلته ، رحل الى مصر ، فأقام فيها زمناً غير مديد ، وغادرها الى روما عاصمة الأمبراطورية الرومانية . وهنالك عرف الرومانيون قدره ، وجلّت فيهم منزلته ، ونفعهم علمه وأدبه ، فلمع في الآفاق نجمه وعلا ذكره ، حتى ارتفع به شأنه الى أن اتخذه الأمبراطور ادريانوس استاذاً له ومؤدباً .

وقد مكث في روما زهاء عشرين عاماً ، كان فيها أوفى العاملين لمصالح بلاده ، وأحسنهم سفارة عنها لدى حكومة الأمبراطورية الرومانية ، ولدى وجوهها وعظمائها ، وهو مع هذا ليس بالسفير المعين ، ولا المندوب الرسمي . ولم يصرفه هذا عن القاء المحاضرات ، وتدريس العلوم ، وارتياد المكتبات المختلفة يذوق ما اعذوذب وطاب من نفائس الأسفار وذخائر المدونات ، فتزوّد ماشاء أن يتزوّد منها في تصنيف مؤلفاته الكثيرة . وقد اتخذ له اصدقاء كثيرين من فلاسفة الرومان في ذلك العهد . وتوثقت بينه وبينهم عرى المودة وأسباب الألفة والتزاور .

ولما قفل الى موطنه عرف له قومه ماقدم من العمل الصالح ، والخدمة الخالصة لبلاده ، فأجلوا استقباله ، وأحلوه أرفع منزلة فيهم ، فجعلوه حاكماً على ولايتهم .

وكان بلوطارخوس غزير المادة ، جم المعرفة ، وافر الكتابة . فهو أكثر كتاب عهده تصنيفاً وتحبيراً . بلغت مؤلفاته الثلاثين كتاباً بعد المائة ، في شتى المناحي ، وشُعَب المعارف ، في التاريخ والفلسفة ، والنقد ، واللغة ، والبلاغة ، والأخلاق ، فقد أكثرها فأمست خبراً من الأخبار

وقد كان لبلوطارخوس في كتاب فرنسا في القرن الخامس عشر ، ولا سيما كتّاب القرنين الثامن والتاسع عشر ، نفوذ كبير ، وأثر بليغ ، فالفيلسوف مونتسكيو كان كثير الرجوع اليه ، والفيلسوف روسو شديد الولوع به ، ، جم الانتجاع في الاطلاع على صنوف ماخلف من مصنفات . أما كتّاب القرن العشرين ونقّاده فما قصرت بهم جهودهم عن درسه ، ولا تخلفوا عمن سبقوهم في الاعجاب به والتواصي بالعناية بما حبر وصنف ، ولكنهم لم يفرطوا ولم يتغالوا ، بل كانوا عند حد القصد والاعتدال في وزنه وتقديره ، فأحلوه في الطبقة الثانية بين كتّاب زمانه .

وكان بلوطارخوس مُعظماً لشأن روما ، مكبراً لمآثرها ، معجباً بحضارتها ، وبازغ مجدها ؛ ولكنه مع هذا كان مدلهاً بحب وطنه ؛ لبلاده من قلبه الموضع الأسنى ، ومن اجلاله المحل الأسمى . يحز في نفسه أن تتبدّل بعد بزّ العز والمجد أثواب الذل والهوان ، ويملأ ما بين ضلوعه أسىً ولوعة أن يجدها في أصفاد الرق قد أذل أعناقها نير الاستعباد للحكم الأجنبي الروماني . ويعد بلوطارخوس آخر فلاسفة اليونان ، والفرع الأخير من شجرة حكمائها ، وأحبهم لديهم ، وادناهم الى قلوبهم .

* * *

وأشهر كتبه ، وذؤابة مصنفاته كتابه في (التراجم والسير) أو حياة مشهوري اليونان والرومان Vie des hommes illustres de la Grèce et de Rome وهو خليق أن يسمى (التراجم المقارنة) اذ هو كتاب ضخم قد ضمّ بين جلدتيه تراجم وسير نحو الخمسين عظيماً من أولئك الذين كانوا في التاريخ شموساً وكواكب ، من كل عصامي أو عظامي طار بأجنحة النسور شهرة ومجداً ، بين فاتح وقائد وخطيب ومشرّع وسياسي وعالم عامداً فيه الى المقارنة بين عظيمين عظيمين من اليونان والرومان ، فسرد سيرتهما ، وأتى على ذكر أعمالهما وآثارهما ، وذكر فيما يتشابهان ، وفي ما يختلفان ، ثم يستخلص من ذلك رأياً ويخرج بحكم فيه فصل الخطاب في ذينك الرجلين . مثال ذلك مقارنته بين سيرتي تيزن أقدم ملوك اليونان ، ورومولوس أقدم ملوك الرومان ؛ ومقارنته بين حياة لوكورج المشرع الاسبرطي ، وتوما بومبليوس ثاني ملوك روما ، وبين دموستين أشهر خطباء اليونان ، وشيشرون أشهر خطباء الرومان ؛ وبين اسكندر القائد والفاتح اليوناني ، وقيصر القائد والفاتح الروماني . ولا يزال آخذاً بيدك يوالي عليك عرض هذه الصور لأولئك العظماء مطنبا مفصّلاً ، مدققاً محللاً حتى تخرج من تلاوة هذا السفر العظيم بعلم كثر عن آثار العبقرية ومجال النبوغ في حياة الرجال ، وعوامل العظمة في مراحل التاريخ واطواره ، وشأن الأخلاق في تصرفات الأمم وأحوالها . وتأهيلها بذلك عبرة وفائدة ترجح في الوزن على نفيس الجوهر

أحمد أبو الخضر منسى

معجزات الزراعة

العصرية وآلاتها

(لن تدخر الحكومة وسعاً في تشجيع استيراد الآلات الزراعية. وهي جاعلة لتدبير النقد الاجنبي اللازم لشرائها من الخارج، المكان الاول من اهتمامها. كما انها لن تني عن رقابة تجارة هذه الآلات رقابة دقيقة فعالة. حتى يتمكن الزراع من اقتنائها بالاسعار المعتدلة في حدود ما يجيزه نظام تحديد الارباح. ولذلك رأينا، إبقاءها في نطاق هذا النظام. وسنطالب الى قناصل مصر وملحقيها التجاريين في الدول الاجنبية المشهورة بانتاج الآلات الزراعية موافاتنا بالبيانات، عن كل ما يستحدث من هذه الآلات وأسعار بيعها. وسنعمل على نشر هذه البيانات أولا فأولا)

من بيان معالي وزير التجارة في وسائل مكافحة الغلاء، الذي ألقاه في مجلس النواب في مساء ٢١ / ٣ / ١٩٥٠

جديرٌ بزراعنا الاغتباط بهذه البشرى التي زفها إلينا معالي الوزير في بيانه البليغ الخطير المسهب المشار إليه في صدر هذا البحث. ولا يسعنا إزاء ذلك، إلاّ التضرع الى الله تعالى لتحقيق هذه الآمال عاجلاً. ومما يذكر في هذا الصدد، أن كلية الزراعة في مدينة دافيز وهي إحدى كليات جامعة كليفورنيا بولاية كليفورنيا، قد سبقتنا في هذا المضمار. وشعارها في هذا الميدان، على الدوام « ليس لدينا أي عمل مستحيل في سبيل تحسين الزراعة في كل آن. ولابدَّ لنا من اختراع الأدوات والآلات التي تفي بالمرام »

وتستوي في ذلك عندهم، المعامل الكيماوية و المستنبتات الزجاجية الواقية للنباتات، فالحقول الأنيقة الخاصة بتجارب المزروعات، ثم عناية علمائهم بها. لأن العلماء متى تبينوا أن الطبيعة لا تتعاون مع عصر الآلات، عمدوا الى تغيير الطبيعة، وفيما يلي أمثلة لذلك:

(١) — ﴿ آلات لجني الأقطان ﴾ : قالت إحدى المجلات الأمريكية الفنية، في هذا الباب، ما يأتي: —

لا تستطيع الآلات الميكانيكية المستخدمة الآن في جني الأقطان جمع اللوزات القطنية التي توجد في الأجزاء السفلية من عيدان القطن. لذلك جعل علماء فلاحة البساتين في تلك

الكلية ، لا يدّخرون وسعاً في تربية نبات قطن لا ينتج لوزاً في العقد « البوصات » الست السفلية من ساقه . كما إنهم يسعون سعياً حثيثاً في سبيل إنتاج نبات قطن يسقط ورقه ، حالما يحين جني ثمره .

وهذا مما يحول دون تلوث شعر القطن بفتات الأوراق الذي يلتقط حينما تجرد الآلة الميكانيكية الجانية ، لوز القطن ، من محتوياته .

(٢) — ✻ فرّازة تفرز البرتقال الذي يتلفه الصقيع ✻ — واخترعت في أمريكا آلة ، قوامها أشعة رنتجن . تفرز البرتقال ، الذي يتلفه الصقيع ، فرزاً أوتوماتيكياً ، فتنبذه قصيًّا . إذ المعروف أن التلف الذي يلحق البرتقال ، من الصقيع ، قلما يفطن له الناظر الى السطح الخارجي للبرتقالة . فلا مندوحة إذن للزارع ، عن فحص قلب البرتقالة ليثبت له تلفها . فيتسنى له الاستغناء عنها . ولهذه الآلة الكهربية ، سيران من الجلد ، لا نهاية لهما . ينقلان البرتقال ، كل واحدة في قدح خاص . فتمرّ البرتقالة في جوف الآلة . ومتى تدخل فيها البرتقالة ، تمرّ تجاه آداة تزن حجمها لكي تضبط أنبوب جهاز الأشعة بحسب ثقل البرتقالة . ثم تمرّ البرتقالة فوق أنبوب الأشعة ، حيث يلقى جزؤها المؤوف ، صورته المعتمة . فتتلقى هذه الصور أربع علب معدنية تعجل مسيرها ، إذ تدفع البرتقالة في أحد مخارج الآلة الثلاثة ، طبقاً لدرجة سلامتها من التلف ومقدار ثقلها . وتستطيع هذه الفرّازة في ساعة واحدة فرز ٣٦٠٠٠ برتقالة .

(٣) — ✻ آلة لتقليع شجيرات الطماطم وجني محصولها ✻ : المعروف عند الزرّاع أن جني محصول الطماطم ، عمل من الأعمال الزراعية العسيرة . لأن ثمارها لا تنضج في وقت واحد . فيضطر زارعها الى جنيها بالأيدي عدة مرات في موسمها . فيكلفه هذا العمل نفقات باهظة .

لذلك عكف علماء الزراعة في كليفورنيا ، على تحسين نوع من نبات الطماطم ، لتنضج ثماره جميعها في آن واحد .

كما عمدوا الى صنع آلة تقوم بتقليع النبتة بأجمعها من تربتها . ثم تهزها هزًّا جيداً حتى تنفض ثمارها كلها في صندوق معدّ لها .

(٤) — ✻ شجيرات خروع مُهجّنة وحصّادات لها ✻ : يستورد الآن صناع البوية

في بلاد الولايات المتحدة الأميركية، نحو ٣٠٠ مليون رطل انكليزي من بزور الخروع في كل سنة، وذلك من الأقطار الشرقية. وتستعمل الزيوت التي تعصر من هاتيك البزور، في صنع دهان اللاكيه، لوقايته من سهولة التفتت والتشقق. كما تُجعل وسيلة لتجفيف أنواع البويات الأخرى وتعجيل تثبيتها في السطوح التي تُدهن بها.

وهذا النبات النفيس الذي يُزرع في ولاية كليفورنيا، كما ينبت في بلاد قارة آسيا، يبلغ ارتفاع شجرته ثلاثين قدماً. وتنضج قرونه نضجاً غير منتظم. ثم تتفتح فتتساقط منها بزورها. وفي الأقطار الشرقية حيث تكون أجور العمال بخسة، يجني الزراع بزور هذا النبات التقاطاً بأيديهم، حينما تسقط على الأرض. أما في بلاد الولايات المتحدة الأميركية، حيث ترتفع أجور العمال، فيتعذر اتباع هذه الطريقة الهينة، وذلك لفداحة نفقاتها هناك.

وقد حلّ ذوو الشأن الأميركيون هذه المشكلة، بتوليد بزور خروع تُنبت شجيرات لا يزيد ارتفاعها على ست أقدام أو سبع أقدام. وتنتج قرونها نضجاً متساوياً ولا تسقط بزورها من القرون. ثم مالبثوا أن صنعوا في جامعة نبراسكا، محصدة لتجرد القرون من بزورها. أعني آلة لتفريطها. فتقوم هذه الآلة بتفريط البزور. ثم تدفعها الى عصارات لتعصرها. فكان هذا الحلّ خير الحلول للتخلص من فداحة أجور العمال. وتدلّ أحدث الأخبار أن هذه النباتات المهجّنة وحصاداتها، قد انتشرت واستعملت تجاريًّا من أواخر السنة الماضية:

(٥) — ﴿ تلقيح ملكات النحل تلقيحاً صناعيًّا لا كسابها أنفع المزايا. واختراع جهاز يدوي لذلك العمل ﴾: ولم يتوانَ العلماء في تكييف طريقة تلقيح أزهار الفواكه، بوساطة النحل، تكييفاً من شأنه، تعجيل ذلك العمل. فتراهم اذا ما ثارت العواصف في موسم الازدهار، فاختفى النحل، ليتقي شرها، « وهذا مما يضعف محصول هاتيك الفواكه » طفق العلماء يسدون ذلك العجز.

ومن العلاجات التي يلجؤون اليها وقتئذٍ التوسل بالتلقيح(١) اليدوي وذلك بوضع بضع

---

(١) الكاتب، راجع مقالنا في « وسائل تحسين الزراعة » الذي نشر في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٤٩ »

ذرات من اللقاح على كل زهرة ، بوساطة فرشاة صغيرة. بيد أن هذا العمل يقتضي مجهودات جمّة . لأن رجلاً واحداً لا يستطيع في اليوم، جمع أكثر من أواقٍ قليلة من ذلك اللقاح. على حين يكون في وسع نحل خلية واحدة ، جمع رطلين انكليزيين ، من اللقاح عينه كل يوم . فلا بدّ إذن من جعل النحل يؤدي هذه الوظيفة وحده أي (جمع اللقاح) ثم أخذه منه لاتمام سائر العمل على أيدي الزراع المختصين . لذلك لم يفتر علماء فلاحة البساتين وزملاؤهم علماء الحشرات، في اختراع شَرَكٍ صغير يُنصب في مدخل خلية النحل، ليجرده من اللقاح المنشود ، حالما يهمّ بولوج خليته . كما غدا النحل نفسه يتلقّى من علماء الحياة عناية تامة، مما يجعله يستفرغ جهده في عمله . فيعمر طويلاً وينتج انتاجاً سريعاً ، ويقاوم المرض مقاومة شديدة ، ويلسع لسعاً قليلاً . فينجم عن هذه الوسائل جميعها ، انتاجه عسلاً جزيلاً أكثر من المألوف . ويتاح الظفر بهذه الأمنية بطريقة واحدة هي « انتخاب الأصلح من أنواع النحل » التي تتوافر فيها تلك المزايا برمتها. ثم استعمال عناصرها التناسلية ، في تلقيح ملكات النحل بها ، تلقيحاً صناعيّاً . ولذلك اخترع العلماء المتخصصون في هذا الفنّ ، جهازاً دقيقاً محكماً ، مؤلفاً من أسلاك معدنية وتروس صغيرة جداً وميكروسكوب. وهو المعروف عندهم باسم « جهاز لايدلو اليدوي لتلقيح ملكات النحل به » نسبة لمخترعه الدكتور هـ . هـ لايدلو الصغير . وهذا العالم هو الذي يزاول تجارب النحل في الكلية المذكورة آنفاً .

(٦) – ❊ **أشجار تنتج لوزاً صغير الحجم لحشو الشكولاطة** ❊ : ثم إن الكلية تتعاون مع المصانع على تنفيذ مطالبها الفنية . ومثالها : إن صناع الحلوى والشكولاطة والفواكه المسكرة والملبس والبستيلية، شرعوا في إنقاص ثخانة مصنوعاتهم ، وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حتى صارت أخف مما يلزم لتغطية لوز كليفورنيا الكبير الحجم. فطلبوا الى علماء الكلية ، توليد شجر ينتج لوزاً صغير الحجم . فلبوا طلبهم إذ أنتجوا الاشجار المنشودة ، انتاجاً جزيلاً فأصبحت شائعة للغرس التجاري . ولكن العقبة التي نشأت فيما بعد فحالت دون انتشار هذا النوع من اللوز ، هي استئناف أرباب مصانع الشكولاطة ، صنع قوالبها كبيرة الاحجام ، كما كانت أصلاً .

(٧) — ❋ فرازات تفرز الفواكه طبقاً لاحجامها وألوانها وسلامتها من التعطيب ❋

وكثيراً ما يتحد مهندسو الكلية اتحاداً وثيقاً مع صناع الأطعمة ، في اختراع آلات جديدة للانتفاع بها في إعداد مصنوعاتهم . ومن أحدث هاتيك الآلات ، جهاز كهربي لفرز الفواكه لأجل صناعة الموالح . وقد تمّ في فصل الصيف الغابر ، إنتاج طائفة كبيرة منه للأعمال التجارية . وفي إمكان هذا الجهاز تقسيم الليمون ستة أنواع مختلفة بحسب أحجامه ، وذلك بمعدّل ٢٤٠ ليمونة في الدقيقة ، كما إنه يستطيع فرز البرتقال وغيره من الفواكه ، على هذا النمط ، إذا كانت من الأصناف العسيرة التعطيب . وتدور هذه الآلة بالطريقة الآتي بيانها : —

تفرغ أحمال البرتقال في جوف الآلة . ثم ترص الواحدة بجانب الأخرى ، على شكل صف طويل مفرد ، حيث تنقل على سير دوّار لا نهاية له . وفي نهاية دورة السير ، يتساقط البرتقال في شعاعة من الضوء موصلة الى باب عمومي في أسفل الآلة ، حيث تتلاقى سائر أجزاء الآلة . وحينئذٍ تقوم كمية الضوء التي تعترضها البرتقالة ، كبيرة كانت هذه الكمية تجاه البرتقالة الكبيرة ، أو صغيرتها بازاء الصغيرة ، بتحريك الصمامات الكهربية للقيام بوظيفتها . وهي ادارة مجددات التيار الكهربي . فتفتح أية واحدة من البوابات الخمس المختلفة الاحجام لتدفع البرتقالة الى السير المتحرك الذي ينقلها الى مستودع التعبئة . وكل برتقالة تعجز عن المرور في البوابات ، تدفع الى نافذة في طرف البوابة العمومية التي تتلاقى عندها أجزاء الآلة . وثمة وحدة آلية تتفق مع هذه الآلة ، فرازة الاحجام ، وهي على وشك الظهور في الأسواق ، تقوم بترتيب الليمون وغيره من الفواكه طبق ألوانها . ويأمل المهندسون أن الخطوة الأخيرة في هذا الميدان ، ستكون ضم تينك الاداتين ، إلى آلة التعبئة . وذلك بوساطة مشابك . وحينئذٍ يمكن الزارع القاء فواكهه مختلطة حابلها بنابلها ، في طرف الآلة ، فتبرز من طرفها الآخر ، صفوف من العلب معبأة بالفواكه ، تمهيداً لنقلها بالسفن الى البلاد الأجنبية .

(٨) — ❋ حصادات للبصل تقوم بتقليعه ورفعه وتشذيبه وتعبئته في أكياسه ❋

وستحوّل عما قريب التصميمات الخاصة بحصادات البصل الجديدة ، الى صناع الأجهزة في

Orientalisches Seminar Freiburg i.Br.

أمريكا . ومحصدة البصل هذه آلة يجرها جرار ، لتؤدي أربعة أعمال : هي التقليع والرفع والتشذيب والتعبئة في الأكياس. وللمحصدة سلاح ماضٍ يغور في التربة مثل سكة المحراث حيث تقطع جذور البصل . ولها أيضاً أيدٍ من الكاوتشوك تقبض على شواشي البصل ثم تلقمها لطاقين لاقطين من السيور الدوارة. حيث تقبض عليها قبضاً وثيقاً . على حين تقوم مدية بتقطيع الشواشي من اللب . ثم تنقل الشواشي الى مؤخر الآلة وذلك على جهاز من السيور. ثم تكوَّم على الأرض. بينما تنقل سيور أخرى لباب البصل الى زنبيل . ومنه تنقل إلى الأكياس . وحينما يمتلىء الكيس بالبصل ، تقوم الآلة باغلاق قمته وتنسيقه على سطح الحقل ، تمهيداً لنقله بعربات النقل .

(٩) — ﴿ بطيخ صغير حلو جدًّا ﴾ وظهرت حديثاً في أسواق بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ، بزور جديدة للبطيخ تنتج بطيخاً ، سهل المنال ، يلائم العائلات المتوسطة الأفراد عدداً . وحجمه لا يزيد على نصف حجم البطيخ الأمريكي المألوف . إذ يبلغ وزن البطيخة منه ١١ رطلاً انكليزيًّا. وهذا مما يسهل وضعه في الثلاجات المنزلية وضعاً محكماً. حيث تقدم البطيخة كمادة حلوة للتحلية عقب تناول الطعام المعتاد. فتستهلك العائلة البطيخة بأجمعها من دون إبقاء أجزاء منها لتؤكل فيما بعد . وربما لا يتيسر أكلها في الميعاد الصالح لتناولها . فتصير تافهة الطعم أو فاسدته فتلقى في صندوق القمامة. وهذا النوع الحديث من البطيخ أحلى من سابقه. كما إنه يفضل أغلب الأنواع التي تباع الآن في الأسواق الأمريكية. ولذلك يتوقع العليمون. أن الزراع سيؤثرون زراعته على غيره. لأنه يقاوم مرض الذبول. فضلاً عن كونه تسهل تعبئته في الأقفاص كالسنطاوي والقاوون . فيقل تعرضه للتلف عند نقله من مكان الى آخر .

(١٠) — ﴿ مزرعة للنباتات الطبية والتجارب العلمية ﴾ — وفي جامعة شيكاغو ، مزرعة صغيرة يزرع فيها كثير من أنواع النباتات . ومنها زهر الكشاتبين foglove المستعمل لاستخراج الديجيتال ، وكذا نبات الخشخاش ومنه ينتج المورفين ، وغيرها من النباتات الطبية . وذلك في تربة مشبعة بغاز الحامض الكربونيك الذاتي الاشعاع . وبهذه الوسيلة قد شرع علماء الولايات المتحدة الأمريكية ، يدركون كيفية تأثير العقاقير . وأسفر هذا البحث عن نتيجة نافعة ، وذلك عند ادخال قليل من ملح الطعام المشع في غذاء بعض الناس . اذ كان علماء جامعة شيكاغو جميعاً يزعمون أن الملح يذوب في الجسم ذوباناً بطيئاً الى حدٍّ ما . فثبت لهم أن الملح المشع يتصبب من مسام آكله عقب تناوله اياه بدقيقة واحدة .

عوض لمشري

السنونو

زفت إلى الدنيا البشا   رة بالربيع مزغردهْ
فاهتزَّت الأفنان تهتف   للبشير معربده
وتشوّفت مقلٌ مسهدة   وجاشت أفئده
والنهر صفَّق للصباح   بنشوة المتهجده
تلقى الطبيعة في الربيع   استيقظت متمرده
والأرض بستان تضوَّع   بالشذا والريح لحنُ

⁂

أرأيتها حين اعتلتْ   متن الغمام محلقهْ
راحت كلمعةٍ بارقٍ   تطوي الفضاء مصفقه
تنداح في الأفق الفسيح   كموجةٍ متدفقه
وتهيم تضرب بالجناح   ذرى النسائم محنقه
والريح أسلست القياد   لها وأغضت مطرقه
والفجر من خلل السحاب   كأنه - إذ لاح - جفنُ

⁂

نشرت جناحاً خاله   الرائي لرقته غماما
دقت طرائقه فحاكى   في طرائقه الحساما

وتجهمت جنباته فكأنه ادّرع الظلاما
وطوت جناحيها تخلت ملاءةً طويت لماما
والرأس شابه حلمة الا شدي التي انتفضت هياما
عصفت بها الاهوا. فاختلجت كما – لو ماس – غصنُ

***

هتفت فصفق مرهقٌ لطلائع الفصل الجديدِ
والقلب حلق من حميّا الـوجد في أفقٍ بعيد
تهتاجه فتن الشباب تشع من مقل وجيد
فيصوغ من وحي الجمال وفنه فتن القصيد
ألحانه فيضٌ من الآمال تزخر في نشيدي
وبكل قافيـة له من معجز الابداع فنُّ

***

من أنتِ حين شدوت للسمار في الليل العميقِ
قد شام قومٌ في محيّاك الوسيم سنا الشروق
ورآك قوم منهلاً عذباً تسلسل كالرحيق
وأراك أمنية الخليع وفتنة القلب المشوق
أعـربتِ للمشتاق حين شدوتِ عن معنى دقيق
وانزاح عن صدر المعنى غيهب وأنجاب دجنُ

(دمشق) عدنان مردم بك

العروبة الجبارة

شيخ العرب مع جمال باشا

حدث هذا الحادث في آخر الحرب الكبرى الأولى، وكان اسم جمال باشا قائد الجيش العثماني في سوريا يرعب الناس لما كان يأتيه من الظلم والشنق في من يقال انهم أعداء الدولة، كان اسمه كافياً لأن يلقي الرعب في قلوب الناس . ففي أواخر الحرب حدث ما يأتي :

دخل الأميرالاي حمدي بك الى مكتب فخامة جمال باشا قائد الجيش العثماني في سوريا يصطحب الى جانبه شيخاً من مشايخ العرب ، نفيس البزّة من أفخر ما لبسه أمراء العرب الكبار ، طويل القامة ، معتز الهامة ، عريض المنكبين ، كبير الرأس ، طلق المحيّا ، مشرق الطلعة ، متورد الوجنتين ، عريض الشاربين ، كثيف الحاجبين ، ممتلىء الساعدين والكفين ، وكل ما فيه يدل على أنه من جبابرة العصر ، تكاد عيناهُ تقدحان شرراً لصولته ، ومقلتاه تشعان أشعة الذكاء الساطع . وتكسو ذقنه لحية عريضة طويلة تغمر عنقه وأعلى صدره ، وقد وخطها الشيب قليلاً . وفي نظراته وقار يدل لديه جبروت الملوك والقواد .

لما دخل قال : « السلام على فخامة القائد الكبير جمال باشا » فما شعر جمال الا وهو يقف مأخوذاً بوقار هذه الهيبة . ثم قعد توّا . ورأى الشيخ الى يمين مكتب جمال باشا مقعداً فاستوى عليه . فاستغرب جمال باشا كل الاستغراب أن الشيخ قعد من غير أن يؤذن له ، وما قعد أحد في حضرة جمال ، فكيف يجسر هذا الشيخ أن يقعد . بل قل ما من أحد من الناس مهما كانت صفته ورتبته وقف لدى جمال باشا أو واجهه الا ارتعد فرقاً . لا لأن هيبته رهيبة ، بل لأن ما سمع عن جبروته في التنكيل والشنق وقسوة الاضطهاد قد اشتهر في جميع الأقطار التي تحت سلطانه وتجاوزها الى غيرها . فكيف جسر هذا العربي أن يقعد غير مبالٍ بجبروت جمال . ولكن هنا هيبة العربي تغلبت على الجبروت المصطنع . لذلك لم يجسر جمال أن ينتهر الشيخ ويسأله كيف يقعد من غير اذن . ولكن جمالاً قال للضابط حمدي بك المترجم بالتركية : « قل له : انها لقلة أدب منه أن يقعد من غير استئذان » .

فارتبك حمدي بك واستصعب أن يترجم هذا القول للشيخ الوقور . على أن جمال انتهره بحدة وقال : « لماذا لا تقول له ؟ » .

فقال حمدي بك بالعربية للشيخ : « لم تجر العادة أن يقعد أحد في حضرة القائد الأعظم قبل أن يأذن له »

فقال الشيخ : « ولكن العادة عندنا أنه متى دخل علينا أي انسان مهما كان وضيعاً نرد له التحية ونشير اليه في الحال أن يقعد : أما قائدك فلم يرد التحية »

فترجم حمدي بك هذا الكلام بحروفه . فقال جمال موجهاً الخطاب الى الشيخ : « ألا تعلم انك معتقل » ؟

فباغته الشيخ بالتركية ، لأنه يعرفها جيداً منذ كان طالب علم في الاستانة : « لا لست معتقلاً » وما جئت الا لأن أحد الضباط قال لي أن جمال باشا يريد مقابلتك ، فأسرعت الى جمال باشا لأرى ماذا يريد مني . ولو قال ذلك الضابط اني معتقل ما ترددت في المجيء أيضاً .

فقال جمال : « إذن علمت الآن انك معتقل » .

— الآن علمت انك تبتغي اعتقالي . ولكن اعلم انه لا يستطيع أحد أن يعتقلني . فأنا هنا أدخل وأخرج بكل حرية .

فقال جمال : لا تظن اننا نحسب حساباً لهذه العنجهية العربية .

فقال الشيخ : « نحن لا نعتمد في معاملة القواد والأمراء والملوك على العنجهية بل على القوة الحقيقية لا الوهمية »

وكان جمال ينظر فيه وكل هنيهة يغض نظره لأنه لا يستطيع أن يصد القوة النفاذة التي في عينيه . فقال له — « ماذا تعني ؟ »

— أعني أن عندي الوفاً من المقاتلين ، كل واحد منهم بعشرة من جنودك . وعندي من البنادق الحديثة الطراز الوف كل بندقية منها تحطم عشراً من بنادقك . وعندي مئات من المدافع الضخمة كل مدفع منها يحطم عشرات من مدافعك القديمة . وعندي ...

فصاح به جمال وكاد يفهم ما يقول : صه ، صه كفى تهويلاً . هذا التهويل لا يقلقل قدمي في موطئها . ما اسمك ؟

— اسمي زعيم العرب الأكبر

قال محتداً : — اسمك . اسمك . اسمك ؟

— ألا يعجبك هذا الاسم ؟ ماذا يهمك ان كان اسمي علياً أو محمداً ما دام هذا الثوب يشمل شيخ العرب كلهم ؟ ألم تفهم بعد أنك تخاطب أمير جميع أمراء العرب ؟ والا فقل :

كيف تعتقل شخصاً لا تعرف من هو ، حتى اسمه لا تعرفه.

فحمي غضب جمال حتى كاد ينتضي مسدسه ولكن يده خانته ولم تلبه . فقال للمير الاي حمدي : خذه الى البهو الآخر ينتظر فيه الى أن أدعوه

فأبلغ حمدي الى الشيخ هذا الأمر وأشار اليه أن يقوم فقال الشيخ : ان كانت مهمة جناب القائد قد انتهت فأخرج نهائياً . والا فلن أخرج من هنا حتى ينتهي غرض جمال باشا مني

فقال حمدي : يريد فخامة الباشا أن يختلي ببعض الأشخاص هنا

— فليختل بهم حيث هم منتظرون لا هنا .

فنظر فيه جمال نظرة حادة وما لبثت نظرته ان تكسرت لدى نظرة الشيخ . ثم نهض متغيظاً وخرج الى بهو آخر واستدعى بعض الأنصار الكبار من العرب وسألهم : ما ذا تعرفون عن هذا الشيخ الذي عندي الآن ؟

فقالوا نعرف انه زعيم الوحدة العربية . وقد جمع كل امراء العرب فانضموا تحت زعامته مغتبطين .

فسألهم عن اسمه : فقال أحدهم يقال أنه يدعى الأمير سطام الأعظمي.

وفيما كان جمال لا يزال يسائل الأنصار عنه قام الشيخ من مكانه واتجه الى شباك يشرف على الميدان الذي أمام القصر دار القيادة العليا . فاعترضه حمدي وقال له: ان يقعد في مكانه لئلا يأتي جمال ويراه يطل فيغضب . أما الشيخ فلم يبال بل اطل من الشباك وأجال نظره في من يتمشون في الميدان وأبدى اشارات لم يفهمها حمدي

ثم دخل جمال وغضب اذ رأى الشيخ لدى الشباك . وقعد كل في مكانه . وقال جمال : اعلمت لماذا أنت معتقل ؟

— قلت لك اني لست معتقلاً . لا يستطيع وزيرك ولا رئيس وزارتك ولا سلطانك أن يعتقلني . فأقلع عن هذا الزعم الموهوم . وقل ماذا تريد مني ؟ كفى دعاباً يا باشا

قال جمال . الست أنت الذي جمع جميع قبائل العرب في اتحاد عربي عام :

— نعم . أنا هو . نعم جمعتهم في اتحاد عربي شامل جميع العرب.

— وعرب الحجاز أيضاً ؟

— نعم وعرب نجد واليمن وتهامة وحضرموت والبحرين ، وبعد ذلك عرب سوريا والعراق ، وبعد ذلك مصر وفلسطين ، وبعد ذلك مراكش وتونس والجزائر . فماذا بعد ؟

— إذاً لا تنكر خيانتك للدولة .

-- معاذ الله . ليست هذه خيانة للدولة بل هي أمانة للعرب .

وكان جمال يكفهر وهو يسمع كلام الشيخ سطام الجريء ويكاد يرتعد لدى شدّة عزمه . فهذا الذي كانت ترتعد فرائص الناس لدى نظراته القادحة شرر التهديد كاد ينتفض جزعاً من جراء كلمات الشيخ التي كانت تصور له جميع قوات العرب التي تناهز الثمانين مليوناً متألبة على الترك، وكادت تقضي على حلم كان يحلمه . فأجاب بتؤدة — ماذا تريدون من اتحادكم هذا؟

فقال سطام بعناد منطق — هذا حلفٌ عربي واسع النطاق نريد به استقلالنا لاصلاح أحوالنا لأننا أصبحنا على شفا انقلاب عظيم في هذه الحرب التي تضع أوزارها غداً . فنود أن نرتب أمورنا منذ اليوم . نحن متحدون تمام الاتحاد . فاذا رامت الدولة العثمانية أن تنتفع من اتحادنا فنشد أزرها وإلا فنهتم بشؤوننا مستقلين .

فقال جمال منتعشاً ، إن مصيبة « الدولة العلية » جاءت عن يد العرب .

فأجاب الشيخ بحدّة وجف لها قلب جمال الصلب : لا ، بل مصايب العرب والأتراك أيضاً جاء من نفس الدولة التي تنعتونها « بالدولة العلية » . لو أحسنت الدولة للعرب وجميع رعاياها وعاملتهم بالعدل وحسنت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وقصرت عملها على الاصلاح لكانت اليوم تحل محل الامبراطورية الرومانية ، وكانت سيدة الدول . فكانت الدولة العثمانية تملك أكثر مما كانت تملك الامبراطورية الرومانية في إبان عزها . وكانت الامبراطورية البريطانية تخشى الآن سؤددها، وكان الفخر الذي للانكليزي والتبجح الذي يمتاز به لك ولي . . .

وفي تلك اللحظة دخل ضابط وقدم للقائد العظيم تلغرافاً ورد من خط القتال . فلما قرأه جمال امتقع لونه . فأدرك الشيخ سطام أن التلغراف ينذر باخفاق الجيش في القتال . وبقي جمال برهة متجهماً يضرب أخماساً بأسداس . ثم قال — لقد تماديت في القحة وأنت معتقل . خذه يا حمدي الى السجن .

فتقدم حمدي بك الى الشيخ لكي يصطحبه . فانتفض الشيخ ونزق وقال : كفى ما أنتم فيه من غرور وعنجهية وحسبكم هذا الهذيان . عد الى مكانك يا حمدي . اني حرٌ أخرج متى أشاء وأدخل متى أشاء .

وكان قد قارب الى الباب . فالتفت الى جمال كأنه يودعه : فرأى في يده مسدّساً فارتدّ راجعاً إليه ووقف أمامه وألقى مرفقيه على المكتب العريض الى أن صار على قاب قوسين من المسدس، حتى دهش جمال لجرأته العتية ولم يطاوعه أصبعه أن يضغط على الزناد . وقال الشيخ بالتركية الفصحى : حاذر أن تكون جباناً غادراً يا جمال . ما هذا الغدر شيمة القائد الكبير

أنت تعلم أن بعض رجالك جرّدوني من سلاحي قبل أن أدخل إليك . فلم أمانع احتراماً لمقامك ، ولأني كنت أعتقد أن للقائد الكبير الشرف العسكري الذي يعصمه عن الغدر . والآن أنبهك الى سوء مصيرك إذا مددت لي يداً بسوء . ففي مدة ست ساعات اذا لم أرجع الى رجالي سليماً يدخلون هذه المدينة على جثث قتلى رجالك ويحيطون بهذا القصر . وفي ساعة واحدة يدكونه الى الحضيض بمن فيه ، هم يعرفون أني هنا الآن ، ويعرفون أن نقاشنا أصبح متحرجاً ، فتأخري عنهم يقذف بهم الى هنا لا محالة ، ولا تستطيع قواك الضئيلة أن تقف في سبيلهم فحاذر

فقال جمال : كيف يعرفون أنك هنا وأنت لم تكن هنا قبل ساعة

— أجل أنا هنا أفتكر وأتكلم وهم هناك يفهمون . رد مسدّسك الى مكانه . عندنا الوف مثله ، لاتجازف بحياتك وحياة جيشك المهزوم

فضاق جمال ذرعاً بهذا الشيخ وفكر طويلاً مضطرب البال ، والشيخ لا يزال مسنداً مرفقيه على المكتب منتظراً . ثم ردّ جمال المسدّس الى مكانه وقال : اجلس ياشيخ سطام ، لي كلام معك خطير

فقعد الشيخ على المقعد الى جانبه . وقال جمال : — لا ألومكم اذا جمعتم شملكم . . .

وقاطعه دخول ضابط اليه بتلغراف . ففضه بيد مضطربة وقرأه مكفهراً ، ثم قال : نعم اذا جمعتم شملكم ايها العرب ونشدتم استقلالكم ، فالاستقلال أمنية كل أمة ، والاتحاد هو الطريق الوحيد اليه . واذا كنتم متحدين على هذا النمط الذي أرى فلا ريب انكم تحصلون على الاستقلال . لذلك لي اقتراح عليكم خطير الشأن فيه ضمانة لقضيتكم . فما رأيك ؟

— اسمعني الاقتراح لكي يكون لي رأي فيه

— حسناً . أود أن أعرض على الدولة العلية مشروع استقلالكم الداخلي . وأكون أنا فيه والياً أعلى ويكون شاملاً . شاملاً جميع الامم العربية التي سنحرر منها ما وقع في أيدي دول أجنبية

وهنا تبسم الشيخ واستمر جمال يتكلم : — وتكون وظيفتي أن أرعى دستوركم الذي تسنونه لهذا الاستقلال . ولا اتدخّل في شؤونكم الداخلية . فتكون للدولة العلية السيطرة على البلاد العربية سيطرة اسمية كما كانت سيطرتها على مصر قبل الاحتلال الانكليزي . وأظنه يكون من مصلحتكم أن يكون هذا الاستقلال مسنداً الى قوة الدولة بعد خروجها من هذه الحرب منتصرة ان شاء الله

وهنا تبسم الشيخ سطام ابتسامة عريضة واستمر جمال يتكلم : — والدولة في مقابل

ذلك اتاوة سنوية منكم ومنذ الآن تتقدمون لشدّ أزرها في الميدان المصري. فما رأيك الآن؟

فأجاب الشيخ : مشروع حسن جداً يجب أن أعرضه على زملائي أمراء العرب

— متى يمكنك أن تعرضه وتجاوبني ؟

— غداً مساءً

— حسن جداً . سأرسل معك وفداً من رجال السياسة عندي إذ لا بدّ أن تحتاج الى خبرتهم وعلمهم في تقرير بعض النقاط. أنت تدعو الأمراء الى أول « الغوطة » بعيدين عن الرقباء إذ لا يخفى عليك أن المشروع قد يحرك تنبه بعض الأفكار ويوقظ الظنون السيئة. وسأرسل وفداً آخر يعود معكم عند عودتكم لئلا يتعرض لكم بعض جنودنا الذين يجهلون تدبيرنا هذا .

وركب الشيخ سطام مع عشرة فرسان من رجال جمال باشا .

***

في مساء الغد عاد الشيخ سطام ووراءه الفرسان السياسيون، وصعد بجواده تواً على درج القصر العريض حتى بلغ الرحبة التي فوق الدرج . فخرج جمال على قرقعة حوافر الجواد ودهش إذ رأى الشيخ أمير الاتحاد العربي يكاد يدخل بجواده الى البهو وقال بحدة ، ماهذا الذي فعلت . أيها الشيخ؟ ما الخبر؟ .

فترجل الشيخ سطام وترك عنان جواده والجواد لا يتحرك في مكانه ولا يتزحزح في موقفه وقال : متجهماً : — كنت أعتقد أنك تصدق الصدق العسكري وتحترم شرف ثوبك الجندي .

— احترمه طبعاً

— إذاً فما معنى أن ترسل طابوراً من جنودك لكي يتصيدوا زملائي الأمراء جميعاً؟ انها لخيانة خبيثة لا مثيل لها يا جمال

فقال جمال ماكراً : لا علم لي بما تقول :

— أظن ضباط ذلك الطابور نزل عليهم وحيٌ بأن مئتي أمير من أمراء العرب قادمون الى الغوطة فتصدّوا لهم بناء على هذا الوحي . أليس هو وحي جمال ؟ لم نرَهم حين كنا ذاهبين ولما عدنا رأينا مئات يهاجموننا . فأوعزت للأمراء أن يرجعوا حالاً وألاّ يحتكوا بهم بتاتاً . جئت مع رجالك لكي أبلغك خبر خيانتك . فاعلم أنه بمثل هذه الحيل لا يحدث اتفاق بيننا يا هذا . ولا سيما لأن الهزيمة أمامكم عند حدود فلسطين . وقد شعرتُ بها من قراءتك للتلغرافين .

وهمّ الشيخ أن يركب فأمسك جمال بيده قائلاً : مهلاً لا تعجل . ولا تحكم بلا تحقيق . ليس لي علم بهذا الطابور سوى أني أرسلته في « دورية كشافة » ولم أعد أعلم أين هو، ونسيت خبره إذ لم ترد لي منه أخبار . فكن واثقاً أن ما حدث كان خطأ . وسأرسل معك وفداً آخر عسكرياً كبيراً يحول دون حدوث خطإ كهذا . أيها الشيخ ان مستقبلكم ومستقبل الدولة يتوقف على تنفيذ هذا المشروع . وقد أرسلت رسالة برقية بهذا الشأن الى رئيس الوزراء ، واني لمؤكد انه سيهتم بتحقيقه . فأرجو أن تعود حالاً وتفاوض الأمراء ثم ترجع إليّ ببشارة سارّة

والظاهر أن أخبار الحرب التي كانت ترد الى جمال باشا من ميدان سيناء كانت تنذر بانهيار الجيش العثماني أمام جيش الحلفاء . فافتكر جمال أن يغنم مساعدة العرب وهي آخر سهم في الكنانة

* * *

بعد يومين عاد الشيخ سطام صاعداً بجواده الى أعلى الدرج فتلقاه أحد الضباط الوطنيين . فسأله عن جمال باشا . فقال الضابط لقد فرّ جمال فرار اللص . لأن جيش الحلفاء احتلّ الآن فلسطين ودخل في صباح اليوم حدود الشام لأن جنودنا كانت تفرّ أمامه فرار الأرانب

فقال الشيخ : إن كنا رجالاً نستغل هذا النصر الأجنبي لأنفسنا . وإلاّ فالسبب الذي اتحدنا لأجله قد زال وسنحل هذا الاتحاد ويضمحل ذاك الاستقلال الذي منينا النفس به لقد صار في خبر كان .

* * *

هذا ما كان يجب أن يكون فعلاً لا قصة على الورق . ولكن بعد « خراب البصرة » اجتمع كبار العرب وألفوا الجامعة العربية ثم جاءت الحرب الصهيونية فكانت امتحاناً لها فما نجحت في الامتحان .

ترى هل يمكن أن ينجح العرب في اتحاد جديد يصد عنهم العدو اللدود العنيد ؟

ترى هل يقوم فيهم شيخ كالشيخ سطام الموهوم فيجمع كلمتهم ويقود حركتهم ويخرس ألسنة الخونة منهم . إن الله على كل شيء قدير . (ند)

مصر
في واقع التاريخ

دأب المؤرخون والباحثون الغربيون على تفسير تاريخ مصر بعد العصر الفرعوني تفسيراً يقوم على فكرة ضخمة أساسها أن مصر ظلت خاضعة للسيطرة الأجنبية منذ انقضاء العصر الفرعوني حتى اليوم .

ويذهب السير ارثر كيث الى أن مصر بعد الفتح الآشوري عام ٦٦٥ ق . م أمعنت في عصرها الطويل الذي خضعت فيه للسيطرة الأجنبية ، فما ابتدأه الآشوريون تداولته الدول الأخرى : الفرس ، فالاغريق ، فالرومان ، فالعرب ، فالترك ، وأخيراً بريطانيا . وفي هذه البرهة الأخيرة (١٩٤٦) تجري المفاوضات في موضوع جلاء بقية الجنود البريطانية عن أرض مصر .

ويمضي السير كيث زاعماً أن مصر استعادت سيادتها بعد ٢٥ قرناً ، وصارت أمة ذات سيادة على نمط العالم الحديث !

وليس هذا القول من هذا الباحث جديداً عن الباحثين الغربيين ، خاصة الانجليز ، الذين تولوا كتابة تاريخ مصر .

وواضح من آراء هؤلاء القوم أنهم يقصدون هدفاً معيناً هو اشعار المصريين بأنهم كانوا في هذه الحقبة الطويلة من الزمن التي تبلغ ٢٥ قرناً خاضعين لحكم أجنبي ، وبذلك لا يكون خضوعهم للنفوذ البريطاني مما يثير في نفوسهم حمية تدفعهم الى السعي الى استقلال افتقدوه منذ خمسة وعشرين قرناً .

وقد كان أثر هذه الدعوة القاتلة واضحاً في برامج تعليم التاريخ في مصر . وكان أصحاب النفوذ البريطاني يخضعون لها الخطوط الرئيسية الواضحة في كتب التاريخ التي تعلم في المدارس المصرية ، حتى يشب المصري المتعلم موقناً أن وطنه كان مستعبداً في معظم فترات تاريخه . وبذلك يصاب بيأس قاتل يجعله أداة طيعة في أيدي المستعمرين .

ولم تكن هذه الدعوة وحدها مما يبعث اليأس والاستسلام في نفس المصري المتعلم ،

بل تبعتها دعوات أخرى كان أهمها تلك الخرافة الضخمة التي بذرها الانجليز في مصر ، وزعموا في كل كتاب ، وفي كل صحيفة ، أن مصر بلد زراعي لا يصلح للصناعة .

ولست أبغي مناقشة هذه القضية التي أثبت الزمن — وهو كفيل بقتل هذه الجراثيم — أنها كانت تخدم أغراض السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر .

ويهمني في هذا المقال أن أتحدث عن تاريخ مصر التي لم تكن خاضعة طوال خمسة وعشرين قرناً لسيطرة أجنبية كما يزعم كيث وغيره من غلاة المستعمرين — (كيث لايدافع عن المستعمرين ولا عن بريطانيا بل يتكلم الرجل كعالم انثربولوجي — [المحرر]

وإنه ليؤسفني وأنا ممسك بقلمي أن أقرر حقيقة مؤلمة ، هي ان معظم تاريخ مصر لم يتولّ كتابته حتى الآن مصريون ، كما لم يكتبه غربيون منصفون يقررون الواقع مجرّداً عن الهوى .

فنحن نرى مثلاً أن السير كيث يقرّر أن مصر حفظت شخصيتها في تاريخها الطويل ، وأن السيطرة الأجنبية المزعومة لم تقتل في المصريين روح الاستقلال . ولكنه رغم ذلك يتناقض مع نفسه ويزعم أن مصر خضعت لسيطرة أجنبية طوال ٢٥ قرناً .

والشعب المحتفظ بشخصيته ، المحافظ على روح استقلاله ، لا يمكن أن يخضع لسيطرة أجنبية ٢٥ قرناً ، ولا يجوز لباحث أن يصمه بهذه الوصمة في غير احتياط .

وشواهد فساد هذه المزاعم الاستعمارية كثيرة نجملها فيما يلي :

أولاً — أن قيام دولة البطالسة في مصر كان من مظاهر الاستقلال الكامل ، إذ أن بطليموس بن لاجوس مؤسس هذه الدولة كان يونانياً حقاً . ولكنه كان يحكم بلداً له كل مظاهر الاستقلال . وليس قيام ملك أجنبي على عرش شعب ، مما يجعل هذا الشعب خاضعاً لشعب الملك . ويكفي أن نعلم أن ملوك انجلترة ليسوا من الانجليز .

ثانياً — ان مصر في عهد الدولة الطولونية والاخشيدية والفاطمية والأيوبية . وفي عهد المماليك ، كانت دولة مستقلة وهو أمرٌ لا يمكن انكاره .

ثالثاً — ان مصر قاومت الحملة الفرنسية في مطلع هذا العصر الحديث ، ثم قاومت الأتراك ، وولت محمداً علياً عليها بارادة شعبها . وظلت تنعم باستقلالها حتى شبت في البلاد نيران الثورة العرابية وتبعها الاحتلال البريطاني .

وقد استغلّ الباحثون الغربيون قيام ملوك من دم غير مصري على عرش مصر استغلالاً سيئاً ، فجعلوا مصر تابعة لأمم هؤلاء الملوك . والواقع أن الملوك في أكثر الأمم وفي مختلف

عصور التاريخ لم يكونوا من أهل تلك الأمم إذا أنت تقصيت مولدهم .

كما أن كبار القادة والحكام ليس من المحتم أن يكونوا من جنسية الشعب الذي يقودونه ويحكمونه . ولقد كان نابليون بونابرت غير فرنسي . ولكنه رغم ذلك قاد فرنسا نحو المجد ونحو الهزيمة على السواء .

وكذلك المبادىء والآراء ، فان باحثاً بعينه قد لا تستقر آراؤه ومبادئه في وطنه ، ولكنها تستقر في وطن آخر . وليس أدل على ذلك من استقرار آراء كارل ماركس في روسيا ، وعدم استقرارها في وطنه المانيا .

ومقياس الاستقلال لا يخضع لشخص بعينه أو مذهب بعينه ، ولكنه يخضع للشعب نفسه .

ولا خلاف بين الباحثين على احتفاظ مصر بشخصية واضحة متميزة ، تهضم غيرها من شعوب ، ولا يبتلعها شعب آخر مهما أوتي من قوة وسيطرة .

ولا خلاف بينهم أيضاً على أن روح الاستقلال من سمات المصرية في أجلى صورها ومعانيها . فمصر لا ترضى وما رضيت قط بسيطرة أجنبية ، ولكنها تخضع فترة لتثور وتسترد حقها الطبيعي في الحياة الحرة المستقلة

وليس معنى احتلالها بقوات من جيوش فارسية أو اغريقية أو رومانية أو عربية أو فرنسية أو انجليزية ، أنها خضعت واستسلمت ، ولكن معناه انها تسير في تيار الحياة العالمية كما تسير الشعوب جميعاً ، تكبو ثم تنهض .

وما من شعب عريق في حضارته لم يستهدف لما استهدفت له مصر من غزوات . وليس في هذا ما يقدح في شعب بعينه ويصمه بتلك الوصمة التي شاء الباحثون الغربيون أن يصموا بها شعب مصر .

وان مظاهر القوة الغالبة تنتقل من شعب الى شعب ، ومن شرق الى غرب ، وفقاً لتيارات عامة تسير الحياة البشرية بأسرها .

وقد عاشت مصر عمرها المديد في خضم هذه الحياة دون أن تزول شخصيتها أو يمحى استقلالها

ولكننا نعرف شعوباً كثيرة في العالم القديم ظهرت على مسرح التاريخ ، ثم أمحت من الوجود

عبد المنعم شميس

تقدم الطب

في عهد الفاروق العظيم

الستربتوميسين

(يتبع لما سبق)

وبعد ذلك توصلوا الى اكتشاف مادّة نباتية طبيعية تنبت في حقول القمح والشعير وتُدعى الاكتينوميقش البنيـة Actinomycésgrisus استخلص منهـا العلماء واسكمان ودروف وهورننج مادّة سموها الستربتوميسين وذلك في المعهد الزراعي في نيوجرسي. وقد نجح الستربتوميسين في حالات عجزت البنسلين عن شـفائها وهو أكبر مقاوم للعفن الميكروبي ومقاوم لباشلس السل والميكروبات المختلفـة التي في الأرض والتي شوهد انها تلاشت أمام هذه العشبة. وهذا ما أوصل هؤلاء العلماء إلى بحثها واستخلاص الستربتوميسين منها. وقد كثرت الابحاث فيها ودرس هذا العلاج درساً مستفيضاً، وهو عبارة عن بودرة بيضاء مائلة إلى اصفرار خفيف تحل بسرعة بالماء ولا تحل بالكحول والايثر والكلوروفرم وتحفظ بدرجة حرارة ٢٥ وتحتمل حرارة ٦٠ مع المحافظة على فائدتها. وتفيد جداً بوسط قلوي وليس حمضي. و مليجرام واحد يحتوي على ١٠٠ وحدة، والعلاج الموجود الآن فيه ٣٠٠ وحدة بالمليجرام وهو بخلاف البنسلين أنه يقاوم الميكروبات التي تتلوّن بالجرام « مادة ملونة » وبالاختبار في المعامل تقاوم الميكروبات الآتية: الكولوباستيل والتيفوئيد والباراتيفوئيد وباستيل الدسنتريا والبيوسيانيك وباسقيل فريد لندر وبفيفر وباشلس السل وغيرهم.

وتأثيره بالجسم ليس يُحتوى تأثيريه بالتجربة بالمختبرات ولا يؤثر كثيراً إذا كانت حموضة الدم زائدة، وإن وُجدت في خلايا الجسم مكروبات أخرى غير مقصودة بالعـلاج ولذلك يجب زرع هـذه الميكروبات لمعرفة نوعها. ويحقن الستربتوميسين داخل العضل

وهو بخلاف البنسلين لا يمتص بغشاء الأمعاء. ولذلك يفيد باصابات الأمعاء الغلاظ وضد الجراثيم داخل السائل النخاعي الشوكي بشرط أن يكون بغاية النقاوة ويؤثر في خلايا البلغرا وفي البريتون ويتحوّل ببطء عن طريق البول ويتركز قليلاً في عضل القلب وأقل منه في أغشية المخ والسائل الشوكي ولا يتجاوز غشاء الدماغ إذا كان هذا سليماً، ويكثر وجوده في الصفراء والكبد وداخل العين. ويظهر بالبول بعد ٢٤ ساعة ويتحوّل بمعدل ٦٠ إلى ٨٠ بالمائة. غير أن الكلى المريضة تخفف كثيراً من إفرازه. ويطول بي الشرح إذا استوعبت كل هذا الموضوع. وقد عالجوا به السل الرئوي، ولكدمان وهرشنو اختبراه بسل الفار الذي احتمل بعضهم كميات من ميكروب السل ف ٣٠ منهم شفوا بفعل الستربتوميسين بتكلس اصابتهم الدرنية. وقد نفع في السل السريع الحُبيبي Granulie فتحسنت حالة المريض بعد شهرين ونجح ضد سل أغشية الدماغ Muigite Aubereuleme وبعد ثلاث أسابيع زال الصداع والميل الى النوم وتصلب عضلات الرقبة وزالت الحمى وكل تحوّل بالسائل الشوكي. وقد تستمر بعض الكريات البيضاء فيه أو حالة زلالية. وقد شاهدوا على أثره حالة طرش وأوجاع في مؤخرة الرأس وضعف بالسمع والنظر. وكل هؤلاء المرضى استعمل لهم ١ الى ٣ جرامات يومياً مدة ٦ أشهر

* * *

اما في السل الرئوي فرغماً عن تخفيف حدة المرض وبُطء سيره لا يمكن التأكيد انه يشفي هذه العلة فان الأختبار ضد ميكروب السل أعطى نتائج مشجعة اما عملياً عند المرضى فأعطى نتائج جزئية تساعد على الأستمرار باستعماله في مقاومة هذا المرض الذي يعد من أخطر الأمراض والشفاء التام لا يتجاوز لحد الآن الأمل وقد توصلوا الى ايجاد الكلورومستين الذي أدى نتائج باهرة بالحمى التيفوئيد والباراتيفوئيد والتيفوس الخطر الوبائي. وأخيراً توصلوا أيضاً الى تحضير مركب مشتق منه يسمى الاورمَستين وهذا يعطى من الداخل مثل الكلورومستين وهو يشفي الدسنتيريا المزمنة والحادة والاصابات بالكوليباسيل. وهذه نتائج باهرة حقاً في أمراض كنا بحيرة من أمرها والتغلب عليها.

وقد تقدم الطب تقدماً كلياً بمقاومة تجمد الدم ومقاومة السدة القلبية التي تصيب

جزءاً من الشريان التاجي وتسبب أوجاع مُبرحة عند ضعاف القلب، وهي أقسى نوع من الذبحة الصدرية المخيفة. وفي حالة السدة الرئوية التي لا تقل عنها خطورة أحياناً كثيرة وذلك بفضل علاج حديث يسمى الهيبارين وهو غير سام وسهل الاستعمال. ويمتاز كثيراً عن الدياكومارول الشديد التأثير على الكبد والكلى والدم. وهذا العلاج يستعمل حقناً داخل الأوردة بكمية ٢٥٠ الى ٦٠٠ ملجرام كل أربعة ساعات ليل نهار. ولكي نقرر نجاح الهيبارين يجب أن تكون المدة التي يؤخر فيها تجمد الدم ٥٠ دقيقة على الأقل اذا حُقن المريض كل أربعة ساعات. وقد ظهر أن تكرار هذه الحقنة مضايق وغير عملي ففكر لوف ومساعديه باستعمال الهيبارين البطيء Heparine retard ولم يتوفقوا بأول تركيب ثم مزجوه مع الستيدوزان فنجح. ان حقنة ٢٠٠ ملجرام من الهيبارين البطيء داخل الأنسجة الخلوية كافية لمدة ٣٦ الى ٧٢ ساعة وللوقاية كمية ١٠٠ الى ٢٠٠ ملجرام كافية للحصول على النتيجة ذاتها أي تأخير تجمد الدم من ٣٠ الى ٥٠ دقيقة.

* * *

ويستعمل الهيبارين البطيء عند النساء بعد سن الأربعين المعرَّضات للسمنة والتهاب الأوردة وعندهن عجز في عمل القلب والشرايين والمعرضات لالتهاب الشرايين على أثر جراحة أو ولادة ويحقن تحت الجلد ثم يبحث عن مدة تجمد الدم فان كان ٤٠ الى ٦٠ دقيقة فتكون النتيجة حسنة. ويجب تجدد هذه الكمية بعد مدة من الوقت. وعند تناقص مدة تجمد الدم

وأعظم نجاح الهيبارين هو في السدة القلبية هذا المرض المخيف التي ضحاياه لا تعد ولا تحصى فيجب اعطاءه عند أقل انذار وبدون تأخر. ويمكن اعطاء الهيبورين العادي مترادفاً مع البطيء وبهذه الطريقة كانت الوفيات بالسدة القلبية معدومة. وميري لم يشاهد في ٣٧ حادثة وفي ١٤٠ سدادة رئوية وفاة واحدة، وبود شاهد وفاتين فقط في ٤١٣ حادثة. وسلياكس لم يشاهد في ٢١٧ حادثة إلا وفاتين حصلتا لأن الهيبارين استعمل متأخراً وبجرعات غير وافية.

وقد تقدم الطب كثيراً في علاج الذبحة الصدرية العادية التشنجية الشديدة الخطر

والكثيرة الحدوث خصوصاً بمصر . وهذه يجب استدراكها قبل حدوثها لأنها لا تأتي عفواً كما يتخيل كثير من الناس . بل ان ما يساعدها هو تحول بأغشية الأورطي « الشريان الرئيسي بالجسم » فيتأثر رويداً رويداً ويفقد مع الزمن نعومته ومغناطيسيته إن صح هذا التعبير، فيقسى وتخشن أنسجته وتحل في غلافه الداخلي حبيبات ولطع مركبة من أملاح الكولستيرين والاكتلات والايرات والمواد الدهنية التي تتكلس مع الزمن فيصبح غلافه الداخلي خشناً يفقد نعومته، وهذا ما نسميه بالاتروم أي بداية التصلب. وهذه الحالة تزداد رويداً رويداً مع الزمن ثم تمتد هذه الحالة إذا أهملت الى الرئة المجاورة . وأول شريان يصاب هو الشريان التاجي أول شريان ينفصل عن الأورطي ويغذي عضل القلب ويلتف حوله. وهذا الشريان رفيع وضيق فان خشنت أنسجته وأصابها الاتروم فيسهل انسدادها ولو ربع دقيقة . وهذه هي الطامة الكبرى وقفلها السريع العابر يسبب الذبحة الصدرية التي تحدث بصورة خفيفة عابرة وحالات أقسى وأهم حالات متوسطة وصعبة وشديدة وخطرة ومميتة فيتخلل بين الواحدة والأخرى زمن طويل أو قصير حتى حالات تتردد يومياً أو يوم بعد يوم أو ساعة بعد ساعة حسب شدة تصلب الأورطي أو التاجي . ولنصرح هنا أنه بين ظهور أعراض الذبحة الصدرية وبين بداية تحول الأورطي ثم التاجي يمر زمن طويل وطويل جداً يعد بالسنين. فهذا الوقت لا يستفيد منه المريض في أعظم الأحوال ليقي نفسه منها حسب اقتدار الطبيب وامتثال المريض للسير بالعلاج الصحيح والحمية اللازمة للتمتع بحياة هادئة رضية لا يقدرها إلا المرضى المساكين الذين يتحسرون وأي تحسر على فقدانها ولكن بعد فوات الأوان .

* * *

ولا يحتمل هذا البحث ذكر طريقة معالجة الذبحة الصدرية المتشعبة النواحي الدقيقة الشرح وليكون نجاح علاج الذبحة ذا فائدة تجب ملاحظة وظيفة الكبد وحالة افراز الكلى وهاتان الحالتان تؤثران تأثيراً كبيراً في نجاح معالجة الذبحة الصدرية (لها بقية)

الدكتور يوسف كحيل

نظرات في النفس والحياة

-٢٣-

نظرات ثاكري

وليام مكبيس ثاكري القصصي الانجليزي الشهير. قد أتهمه بعض النقاد بسوء الظن بالنفس الانسانية. والنفوس إذا وصف كاتب سيئاتها اتهمته بسوء الظن والعداء لأن هذا الاتهام أسهل من التخلص من سيئاتها التي سببها الغرائز والشهوات المتمكنة من النفوس. وقد رأى بعض المفكرين ان هذه الغرائز والشهوات لن تتغير ولن تتبدل وان النفس إذا استطاعت أن تتخلص منها أو تلطف من حدتها أصابها الضرر والعجز. ومع ذلك فان المفكرين من قديم الزمن يصفون عيوب النفس البشرية أملاً أن تتخلص منها أو تلطف من حدتها. ولا أذكر أكان مينكين الأمريكي هو الذي وصف الانسان فسماه القرد الأبدي لعجزه عن التخلص من الحماقة والشهوات وحب التدمير والأذى، ولقصوره عن الأخذ بأسباب تعميم نتاج العلم وتعميم الاستفادة منه. ولولا أن الكاتب يؤمن في صميم نفسه أن الانسان وهب القدرة على تلطيف عيوبه وتهذيبها والتخلص منها كلها أو بعضها ما كلف نفسه مؤونة وصفها. وبالرغم من أن ثاكري قد يؤلم مبضعه في شرح صفات النفوس كما يؤلم مبضع الطبيب اذا فصد الدمّل فانه كثير الحنان والعطف على النفوس، فهو يجمع بين السخر والحنان وهو بين الانجليز من هذه الناحية مثل أناتول فرانس بين القصصيين الفرنسيين. وكما اشتد ثاكري في نقد سخر سويفت في كتابه المسمى (كتّاب الفكاهة) اشتد بعض الكتاب في مؤاخذة ثاكري. ولكن شتان بين سويفت وثاكري فليس في سويفت حنان ورقة وعطف كما في ثاكري فان سخر ثاكري مقرون الى رقة وسماح وصفح جليل، ولو أنه قد يشتد في بعض قصصه ورسائله ويعنف. وبعض قصصه لا ترى فيها ما يسمى في اصطلاح المؤلفين أبطالاً. ولا يغيب عنا أن ثاكري وزميله ديكنز من كتّاب العصر الفيكتوري، أي عصر الملكة فكتوريا وهو عصر مشهور بمظاهر

التزمت والكبر في التزمت. ولكن ثاكري لا يعفي ذلك العصر من سخره ولا يعفي ما فيه من نفاق وتجبر وقسوة. كما لم يُعفِ المحتالين والمغامرين والأفاقين الذين خرجوا على سنة العصر الفكتوري. وبعض النقاد يرون أن قصة (سوق الغرور) هي أعظم قصصه. وقد تكون كذلك من الناحية القصصية الفنية. ولكن عندي ان اعظم قصصه هي قصة (هنري إزموند) التاريخية. وقد فضلها الناقد الكبير الأستاذ سينتسبري فإن لها سحراً عجيباً. والفن الذي يقتضيه وصف بياتركس وأمها من غير زلل فنٌّ من أعجب الفنون. ثم ان عظم موضوع القصة اذا أضيف الى عظم الفن يزيد في قدر القصة، ولو إن إجادة صاحب الفن لا تقتضي موضوعاً كبيراً كي يجيد. ومن قصصه الأخرى قصة (باري لِندُن) و (الفرجينيين) الخ الخ. ومن كتبه كتاب (الرسائل الدائرة) وهي أشبه بما يتخلل قصصه من رسائل قصيرة وكلمات في وصف الناس وكتاب (الأدعياء) الخ الخ.

وفيما يلي بعض نظراته مع الشرح والتعقيب: —

(١) كثيراً ما ينتقص النساء من عقل المرأة وذكائها (أو من أخلاقها) اذا كانت أعظم منهنَّ جمالاً وأتم حسناً ولم يستطعنَ انتقاص حسنها كأنما يردنَ بانتقاص عقلها ان لا ترجحهنَّ بمجموع ما وُهِبَتْ من ذكاء وجمال. وهذا عكس ما يفعله الرجال فإن ذات الوجه الجميل والعينين الفاتنتين تغتفر لها حماقة كثيرة، وقلة عقلها تكتسب فيها رشاقة وحلاوة تغطيان على قلة عقلها — والواقع أن الانسان كثيراً ما يخدعه انتظام التقاطيع فيَحْسَبُ انه مقرون دائماً الى انتظام العقل والعكس بالعكس

(٢) في سوق الغرور التي هي الحياة قلما يتألم الانسان من وخز ضميره اذا عمل شراً. وانما هو يتألم لا من الندم على عمل الشر بل من الندم لافتضاح أمره وانكشاف سره وشره فيخلط ضميره عُمداً بين نوعي الندم كي يظهر بمظهر الأبرار، أو كي يقال أنه كفَّر بالندم ووخز الضمير عما ارتكب من الشر. وقد يكون الرجل نفسه مخدوعاً بما يخدع به غيره، فان الشعور يُلَبِّسُ على صاحبه حقيقته فيخال من تأنيب الضمير وهو من ألَم الأثَرَة وحب الذات.

(٣) لو فَطِنّا الى ما قد يخالط أنبل الأخلاق وأسماها من نقص او دناءة لتركنا

التفاخر والتباهي بالفضائل. ووصلنا النفوس بالعطف والرحمة.

(٤) ان الكذب الذي يقوله المرء في اغتياب الناس أكثر ذيوعاً من الصدق الذي يمدحهم به، فهل ذلك من أجل أن قلوب الناس تربة حجرية لا تنمو فيها بذور أقوال الخير الرقيقة. ومما لا شك فيه أن اغتياب الناس وذمهم يصادفان من الانشراح والإقبال والإئتناس والاشتهاء اكثر مما يصادفه مدحهم بالخير، كأنك في الحالة الأولى تطهيهم بتوابل تدعو النفس الى أكل لحومهم.

(٥) أيُّ الصفات نالت أعظم مدحٍ منذ عهد حرب ترواده الى اليوم ؟ أليست هي الشجاعة والجرأة والاقدام؟ فقد طالما أشاد بها الشعراء والكتاب وأغفلوا الصفات الفاضلة الأخرى، ولم يعيروها اهتماماً كاهتمامهم بهذه الصفات. ألا يجوز أن يكون السبب أن الانسان جبان بطبعه يجنح الى الخوف والفزع اكثر من جنوحه الى قلة المبالاة والاقدام صيانة للحياة واعتزازاً بها، فيغطي على ذلك بمدح الشجاعة كي يقال انها صفته الغالبة ويطري الشجعان كي يقال عنه انه منهم. ولعل من أسباب مدحه الشجاعة أيضاً انه يريد أن يحمل نفسه عليها، ويغطي عنها مخاوفها، كما غطاها عن الناس.

(٦) بعض النساء لهنَّ ولع بان يضعنَ من يحببنَ في مكانة العبادة وهي مكانة تشبه مكانة آلهة الوثنيين في المعبد فتتقدم له البخور والمدح والثناء سواء أكان ذلك عن عقيدة فيه أو حيلة، وهذا يضايق الرجل لانه يلزمه صفات الكمال دائماً وهو لا يستطيعها. فيمل كما يمل (الدايلي لاما) في التَّبتِ ويتثاءب من عبادة عباده

(٧) قلما يهم الناس كبر عقل الرجل أو عظم فضائله قدر ما تَهمُّهُم آدابه المريحة في معاشرتهم اياه وسلوكه في إرضائهم لان كل انسان يأنس الى ما يريحه. واما رجاحة تفكير المعاشر وعظم فضائله فكثيراً ما تضايق عشيره. ولذلك كثيراً ما يحكم الناس على عقل الرجل وفضائله بما يريحهم او بما لا يريحهم في سلوكه معهم — أو حتى بما يتخيلون انه يريحهم أو لا يريحهم.

(٨) ان بعض الناس لا ينالون الاطمئنان في الحياة حتى يغالطوا أنفسهم ويخادعوها ويحملوها على أن تعتقد ان العدل يطرأ في الحياة ويعم — فهل يطرد العدل في حياة الناس ؟؟ هل كل راكب فاضل وكل ماشٍ مفضول ؟ وهل الأول عادل والثاني ظالم. وهل الفضل دائماً مُفضَّل والنقص دائماً مؤخر ؟. وهل المرائي المنافق دائماً مخذول ؟. وهل ينصرف الناس عن التهافت على ما لا قيمة له من الكتب والأشياء والأمور ؟. وهل هم لا يقبلون على الخطيب المهرّج الماهر ؟؟ وهل لا يُرقى الرجل ولا يُقدَّم ولا ينجح إلا بما له من

عقل وفضل وهمة وكفاية ؟. وقس على ذلك أسئلة أخرى كثيرة . وخليق بالمرء أن يكون أشجع وأقوي من أن يعجز عن تحمل الحياة إلاّ بالأكاذيب .

(٩) قلما ينال الانسان خيراً إلاّ وهو يرى أنه يستحقه ويستحق أكثر منه. ومن أجل ذلك نشأت قلة الشكر وظهر غمط المعروف وجحد الجميل المصنوع إذ قلّما تعد نعمة المتفضل تفضُّلاً منه، بل حقّاً واجباً لمن نالها – : وفي بعض البيئات المنحطة لا يكتفي نائل المعروف بغمطه وجحده. بل يتعاظم على من صنع المعروف أو يحقد عليه في سريرته كي يظهر له إنه انما أخذ بعض حقه وإنه أكبر وأعظم من أن يقرّ لأحد بفضل عليه .

(١٠) لو اختار بعض العلماء المؤرخين أن يتتبع جرائم الفضلاء، وان يكتب كتاباً في تاريخ الشر والضر **الذين** صنعهما أهل الفضيلة أو من يرون أنفسهم من أهل الفضيلة لكان كتاباً عجيباً ممتعاً واعظاً للناس ... فمن الذين أحرقوا البروتستانت ؟ انهم فضلاء الكاثوليك . ومن هم الذين أحرقوا الكاثوليك ؟ انهم فضلاء البروتستانت. ومن الذين يضطهدون الناس في الحياة الاجتماعية وينشرون عنهم أخبار السوء ويصفونهم بصفات السوء ويدعون الناس الى اضطهادهم وايذائهم ويجدون لذة في ذلك ؟ هم الذين يرون أنفسهم أو يريدون أن يقنعوا الناس انهم أفضل من غيرهم. ومن هي التي تتبع جيرانها لاستخراج ما تعتقد من سيئاتهم، أو ما لا تعتقد، ولتستخرج سيئات أجدادهم الى الجد الرابع أو أكثر وأبعد من الجد الرابع لكي تؤذيهم بنشر السوء عنهم ؟ انها السيدة الفاضلة – أو التي تعتقد أو تريد أن يعتقد الناس أنها سيدة فاضلة . وهي اذا عثر الحظ السيء بانسان وجندله دامياً أمامها في الوحل رفعت أنفها إلى السماء تعاظماً وتعالياً وجمعت ثيابها كي لا يلوّثها العاثر المسكين — وإن كان من المحال أن يلوّثها وهرولت صارخة باشمئزاز من حظه العاثر السيء مبتعدة عنه .... حقّاً انا في حاجة الى كتاب في تاريخ جرائم الفضلاء!

(١١) ان الاحسان طعام عسر في الهضم . ومن أجل ذلك قد يختلق من ناله مذمة للمفضِل إذا لم يجد فيه مذمة كي تكون عذراً له إذا فك عن نفسه ما يعده أغلالاً وأصفاداً للمعروف ... ترى هل كان المسافر الذي نجاه السامري من اللصوص — في قصة الكتاب المقدس – شاكراً لمن نجاه من اللصوص ؟ أم أنه كان يجد غضاضة في أن يكون مَديناً لانسان بفضل عليه ؟ وهل هذه الغضاضة جعلته يتذكر أن كل سامري عقيدته فيها انحراف في نظره ؟ وهل اتخذ من انحراف عقيدة من نجاه عذراً له كي يجحد ما أداه اليه من معاونة وكي يتقحم عليه بالذم كي يفك عن نفسه أصفاد المعروف وأغلاله ؟

ع . ش

الحرب ضعف (١)

لا أدري — يا أستاذي الكبير — كيف أن مثقفاً يظلم انساناً ، أو يغتصب حق مسكين ، ولا أدري كيف ان انساناً يسمى بالشرّ وبالمكروه الى أخيه الانسان إلاّ إذا كان ذا قلب رخامي وعقل جامد بليد ، ان هـذا الانسان الطاغي المستبد مظلوم مسكين ، غرّرت به الأيام فتاه في دروبها وحار في أزقتها الحالكة ففقد الايمان بنفسه وفقد الأيمان بربّه ، وظنّ أن تحطيم المصابيح الهادية في قرارة نفسه سيكسبه ضوءًا يتطلع بوساطته الى المستقبل بشيء من الزهو وشيء من الكبر . فأتت عليه النار واكتنفه الظلام فتنكر لنفسه وأهمل ذاته ، وأمات فكره وقسى على الناس وأهمل الخير ... تعساً لهذه الحياة ان كانت غايتها الحرب ، وتعساً لهـذه المدنية التي شادها الانسان على جماجم أخيه الانسان ، انها حياة زائفة بغيضة ، ومدنية باطلة خاوية ... أتعادل تلك الأرض التي تُكتسب في الحرب وتلك الأموال التي تسلب في القتال ، وتلك الأسواق التي تفتح لتصريف البضائع وأخذ الغلاّت ومواد الخام من المستعمرات ، وتلك الأنفس التي تسخر وتستذل بعد حريتها في الغزو . أيعادل هـذا كله ثمن هذه الدماء المسفوحة ، والأشلاء المتطايرة ، وهذا الخراب الشامل والمجاعة القاتلة المميتة .

إن هؤلاء الأساتذة الذين لقنوا هـذا الشاب هذه العلومَ التي تفتك بالأرواح بغير عد او حساب ، وان هذه المدنيـة التي عاش الانسان في جوّها وتنفس هواءها المشبع برائحة البارود وشواء الأشلاء كل هؤلاء أعداء للإنسان .

فلو أن الأب علّم ولده وهو طفل صغير ، لو علم نفسه وآمن بروحانية هـذا التعليم

---

(١) كتب هـذا المقال بعد قراءة مقال الاستاذ الكبير الحداد الذي كتبه في مقتطف يناير (جدال بين الحرية والعبودية) .

— لو علمه وعلم نفسه أن يحترم حق سواه وأن يجل أخاه الانسان ، لو أمات في فكره وفي نفس ولده نزوات الطائفية ، وحماقة العنصرية ، وخرافة الاستعمار ، لو أمات هذه كلها في نفس ابنه الناشيء الصغير — ما رأيت هذا الابن قد مال الى الشر أو فكر في الحرب ولوجّـه هذا العقل الذي وجد كي يعمل الخير ، ولوجّـه هذه القوى الهائلة الى إزالة الذلة والمسكنة ، والى محاربة المرض والفقر والجهل في العالم .

لو أنّ هذا الأستاذ فهم الشباب والحقوق والواجبات ، لو أمن الأستاذ نفسه بهذه العلوم التي يدرّسها ، ثم سعى لتفتح براعم التفكير في الشباب فعلمهم الخير وعلمهم العطف والرحمة والحنان والوفاء ، لو علمهم روح هذه الكلمات لا حروفها وفلسفتها لا ظواهرها ، لو حدّثهم بأن الحرب أعمال وحشية وأفعال تخريبية وانها من أعمال رجال الغاب ومن تفكير الانسان الأول ، وأن على الجيـل الحاضر أن يكون سامياً في تفكيره مميزاً عن الإنسان القديم بأعماله ، لو علمهم أن على الجيل الحالي تحطيم أصنام الماضي وتكسير أغلال العادات وسلاسل التفكير .. وان العـقل في تطوّر مستمر وان الفـكر في تجدد وارتقاء وما كان مألوفاً ومستساغاً قد لا يكون اليوم .

لو أن هؤلاء الأساتذة فهّموا الشباب بأن الحرب وسيلة مشوّهة للمطالبة بالحقوق ، وان في العجز وفي الضعف الالتجاء لطريقة كهذه في تطبيق رأي أو نشر فكرة — فكما أن الحيوان الأعجم لا يجد وسـيلة يلجأ إليها للحصول على قوته أو للدفاع عن نفسه غير الهجوم على الفريسة أو مقاتلة الخصم — وهو لو علم طريقة غيرها لالتجأ إليها — كذلك هـذا الانسان يلجأ الى الحرب ان عجز عن الرأي الصائب ... ألم نقرأ أن الحيوانات التي وُجدت غـذاءً وافراً والتي اطمأنت على فراخها في الأكل والاقتناص والتي عاشت مع الانسان — هـذه القرون الطويلة — فاستأنست به قد غيرت من طباعها الوحشية كثيراً أو انها نسيت تلك الطباع التي لا تحتاجها في معيشتها الجديدة ، فالدجاج نسي الطيران لأنه وجد الحب واعتمد على الانسان ، والـكلاب ارتقت عن فصيلة الذئاب ، فما بال هـذا الانسان لا يزال على انسانيته الأولى لم يشذب من طباعه القديمة ولم يرتفع بفكره عمّا ألف آباؤه وأجداده ، فعاش في مستنقع من الخرافات وقيـد من أثقال العادات . . . أرأيتم عالماً تخاصم مع زميل له في رأي أو تحاورا وتناقشا في مسألة في اختصاصهما فلجأ كل منهما الى السلاح يستنصره على الخصم ويستعين به في التغلب على رأي زميله ؟! .

الحرب عجز والحرب ضعف وان كانت بنت الموت وتُظهر القوّة وتنشر الرعب ، الحرب سخرية من تفكير الانسان ، وهزؤه بأعمال العـقل ، في الحرب يتساوى الانسان

والحيوان الغريزي الأعمال . . ليس هناك مشكلة الاّ وبالأمكان وبالسهولة حلّها بالرأي الصائب وبالمنطق الصادق والايمان الثابت ، ليس هناك حرب إذا تعلمنا التسامح في الرأي والحرية في العقائد، لو تعلمنا أن اختلاف الرأي لا يفسد الوداد أو يأتي على المحبة ، لو أن هؤلاء علموا الشباب بهذا كله لنبذوا الحرب وعاشوا اخوة ولأسكتوا نقيق الضفادع ونعيق الغربان الداعية الى الحرب ، ولو أن هذه المدنية التي أنشأها الانسان وغذاها الفكر كانت كما أريد لها أن تكون – لا كما هي اليوم – لعاش فيها الناس آمنين مطمئنين منعمين بكل هذه الخيرات التي أسبغها الله على خلقه والتي تفي بحاجات الناس وتشبع أهواءهم ...

أهكذا – وسريعاً أخرس أنصار الحرب وشياطين الموت أصوات السلام المتناثرة بأزيز مدافعهم وعربدات قنابلهم .

أهكذا – وسريعاً يحصل زبانية الجحيم وأبالسة الشر على النقاط فيكتسحون فريق السلام أمامهم يملكون الذرة(١) ويملكون قنبلة الهيدروجين وصواريخ الموت واشعاعات الهلاك فتوارى أنصار السلام وتساقطوا دفاعاً عن مبادئهم كتساقط الفراش على مواقد النيران . . .

لا لا أنا لا أصدق أن الباطل ينتصر على الحق ، ولا أصدق أن المنكر يقوى على صدّ الخير والاحسان ، اني أرثي لهذا الانسان الذي وجد الخير في الحرب . ان هؤلاء الذين استساغوا حياة الحرب ورائحة البارود أنانيون يريدون أن يحجبوا نور الشمس بالأكف يريدون أن يستأثروا بضوء القمر ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . يريدون أن يستأثروا بالحرية وبالحياة وبكل شيء ... الويل لمن أراد أن يشاركهم حق العيش وحق الحياة سيثورون ويحطمون كل شيء ، وسيقتلون النساء ، والشيوخ ، والأطفال ، والعجزة ، سيفعلون كل هذه الأفاعيل باسم السلام وباسم الحرية ...

مع هذا كله فأنا أرثي لهم وأعطف عليهم انهم مساكين بؤساء فقدوا الاستقرار النفسي، وفقدوا الثقة بأنفسهم، وأبطلوا أعمال العقل فتدافعوا وراء غرائزهم، وتزاحموا وراء عواطفهم، سيندمون على ما اقترفوا من آثام ، وسيقولون ليتنا عملنا صالحاً ، وفعلنا لأخينا الانسان احساناً، سيشقون بأعمالهم، وسيندمون ولات حين مندم .

العراق – الناصرية

عبد الكريم الامين

---

(١) أصبحت القنبلة الذرية بعد التفكير في القنبلة الهيدروجية وسيلة قديمة من وسائل الحرب

الكون الموجي

> « يجب علينا أن نحترم ذلك الستار الكثيف الذي
> حجب الله به عنا أسرار الكون » (بولتير)

استنفدت الفزياء الحديثة جهدها في سبيل الوصول الى نهائيات الأشياء وباتت تتقصى كل ظاهرة من ظواهر الكون علها توفق يوماً الى سر المادة السابحة في الفضاء المنطوية على جوهرها الحقيقي تائهاً في الخلاء. وكانت المادة مثار ظنون أسطورية تناقلها فلاسفة اليونان على لسان طاليس وزمرته حتى عهد أمبدقليس الصقلي الذي قال بتكوينها من أربعة أركان متفاوتة النسب : هي الهواء والماء والنار والتراب تعمل فيها قوتان متعارضتان هما قوة التجاذب وقوة التنافر، وتظهران في البشر على صورتي الحب والكراهية . وكان أول من قال بالذرة هو ديمقريطس الذي أعلن في شفافية وصفاء أن ليس ثمة حلاوة ومرارة وسخونة وبرودة وسواد وبياض انما ثمة ذرات وخلاء ، فكان صوته أول صوت أعلن حقيقة الجوهر الفرد الذي قطع على الفلاسفة حدسهم وتخمينهم ، حتى جاء دالتن وأفوجادرو ليخرجا لنا معاً بالمعنى العملي للذرة والجزيء ، ولكنهما احتفظا للذرة بأحاديثها وبأنها الدقيقة الصماء والجرم الصلد الذي لا ينقسم ولا يتهشم . وكشف رذرفورد وزمرته بعد ذلك عن أسرار الذرة وتتبعوا العمليات الفزة التي قام بها طومسون ففتحوا معقل الذرة الحصين على ما نتلمسه اليوم فيها من جسيمات دوارة ذات شحنات كهربية تترامى في التاريخ البشري على أنها لبنات الكون الأولى التي تتألف منها مادته وتشتق صورته . وكلنا بات يعلم أن الكهيرب (الالكترون) كان أول ما نمّ عن خبيئة الذرة، ودل على أسرته المتفلتة في معارج أهليليجية من الدوران الدائب الذي لا يتوقف ، قفزهُ في فضاء واسع يتخلل هذه الهباءة التي لم يتصورها العقل البشري دون تجريد صرف ، ثم توالت غزوات الذرة وانفسحت هذه المتناهية في الصغر لارتياد العلماء وطوافهم حتى عثروا على الأويل (البروتون) والعويطب (النوترون). ثم رصدوا بعد ذلك المويجب (البوزيترون) وهو شحنة موجبة كتلتها قدر كتلة الكهيرب ثم السويليب (الميزوترون) وهو الكهيرب الثقيل مما أثار في الأذهان صورة الكون الواسع الرهيب ومجموعاته السابحة في فضاء متمدد محدود بلا حدود . ولقد تداعت الصور الى الأذهان فأطلقوا على الذرة الوليدة اسم المجموعة الشمسية المصغرة وبدا لهم أن يربطوا

بينها وبين الكون المتناهي في الروعة والجلال ليطبقوا على كليهما قوانين واحدة. وكان رائدهم في ذلك عقيدة ابناء العصور الوسطى في أن الطبيعة كلٌ عاقل وانها مقيدة بقوانين وأن كل حادث مهما تضاءل يمكن رده الى ما سبقه بطرق محددة تنبيء عن قواعد عامة وقوانين ثابتة. وكان الكون حينئذٍ محل أنواع متعددة من الهندسة الأقليدية وغيرها حتى ظهرت الهندسة اللااقليدية على أيدي منكوفسكي وريمان واينشتين أثناء تجولهم في كون كروي بعقول نفاذة وضاءة، ففسروا الجاذبية وغيرها من ظواهر الكون وعلاته تفسيرات رياضية عالية ارتقت بالذهن البشري الى مقام سامٍ من التفكير المنزّه عن الآلية المحضة والنماذج المصنوعة، وقاوموا التغلغل المريع الذي انساقت به بعض النظريات المتناقضة في طبيعتها كنظرية الأثير الى أذهان الناس وعقولهم ليزيدوا أبعاد الكون الثلاثة وهي الطول والعرض والعمق بعداً رابعاً هو الزمان الذي أدمجوه في المكان في متصل طرح صفحة الكون لتنبي عما نسجته يد القدرة الجليلة من ابداع محكم ورسمته من رشاقة وجمال.

ولكن هل انطبقت هذه النظريات الجذابة المبدعة على المادة في صورتها النهائية كما انطبقت عليها وهي مكدسة في مقادير كبيرة من الكواكب السيارة والأجرام. الحقيقة انها لم تنطبق تماماً انما تفاوتت في الدقة والحبكة وقصرت في التفسير والتعليل، ولولا مصادفة عارضة أتاحتها الأقدار لماكس بلانك سنة ١٩٠٠ أثناء بحثه في تشتت الطاقة الحرارية من سلك متوهج في موجات قصيرة وطويلة ومتوسطة خرج على أثرها بنظريته الرائعة في الكم أو المقدار لما تكشفت المادة عن حقيقتها الزائغة، ولما أفضت بهذا التنبيه الذي باتت تعانيه الانسانية بعد تشككها في طبيعة أصدق الأشياء في يدها وأقربها الى احساسها وتفكيرها ألا وهو المادة.

وتلخص هذه النظرية في أن الطاقة لا تنبعث في سيال انبعاثاً متصلاً بقدر ما تنبعث في قفزات أو كميات Quanta أوحت إلى الأذهان بذرية الطاقة مثلها كمثل المادة المكونة من ذرات. ولقد رجع ذلك بالتفكير إلى الضوء ونظرية نيوتن في تكونه من جسيمات لها مسارات مستقيمة مما أوقع العلماء في حيرة من أمرهم جعلتهم يرنون الى الضوء كدقائق ويصدقونه في سلوكه كموجات. والعجيب أن العلم يتوسل بالنظريات لحل مشكلاته ويعممها على كل عقدة بات يلتمس لها حلاً. وكان هذا هو ما حدا بنيلز بوهر ليطبق نظرية الكم على الذرة عسى أن يكشف القناع عن بعض التعارض الذي نشأ عن تطبيق القوانين القائمة على الذرة وأطفالها. وكان المسلم به حسب القوانين المعترف بها وقتذاك أن الكهيربات التي تدور في الذرة تقترب من النواة شيئاً فشيئاً حتى تندمج فيها لتبعث ومضة اشعاعية

تتحرر هي الضويئة أو العبيب (الفوتون) تفنى الذرة على أثرها . ولكن نيلز بوهر قال إن كهيربات الذرة لا تتحرك كجسيمات أو أجرام في غير مدارات معينة على مسافات محدودة من النواة يدور فيها الكهيرب ولكن لا يدور خلال الفضاء الفاصل بينها ، وبذلك لا يستطيع أن يقترب من النواة أكثر من مدارها الجواني فلا يتعداه . وهذا هو وجه الخلاف بين النظرية القديمة التي تقول أن الكهيرب يشع ومضاته أثناء الدوران ، ونظرية بوهر التي تقول أنه لا يشع طاقته إلاَّ عند ما يقفز من مدار براني الى آخر جواني . ولكن نظرية بوهر لم تصمد أمام تقديرات رياضية مختلفة جعلتها تتواري لتحل محلها نظرية لويس دي بروي في الميكانيكا الموجية ، وهي تقول أن الكهيرب ليس إلاَّ شحنة كهربية له من خواص الجسيمات بعضها كالقصور الذاتي له من سلوك الموجات أكثره إذ أنه يتنقل ضمن مساحات مضطربة شديدة الاتصال به ترشده في مساراته وتجعل الاحتمال في تعيين منطقة وجوده أقرب من التأكيد مما جعل الفزيائيين يسمونها موجات احتمال اندفعوا على أثرها للبحث التجريبي لاثبات ثنائية المادة بقياس أطوال الموجات وحيود الكهيربات وتصوير الومضات الناشئة عن اصطدام الجسيمات المنطلقة على حاجز حساس . ولقد ترتب على هذا تفلت الكهيرب وهو من بدائيات المادة من أيدي العلماء إذ بات أصعب الأشياء في دائرة بحثهم وأبعدها عن قدرتهم لأنه لا يمكن التعرف عليه في حالة انفراد بغير أن يكون في حالة تعامل مع أجزاء أخرى من الكون يتأثر بها مهما صغرت وتناهت في الضآلة .

وكان لهذه النظرية أثران شرحنا أحدهما في مقال « مأساة تنتالوس » الذي نشرته الأهرام الغراء وهو زوال الايمان بالسببية وتداخل نظرية اللاحتمية ، في التفكير العلمي الحديث . أما الأثر الثاني فهو ما اعتور الكون الذي يصوره العلم الحاضر وهو في أبهى عصوره وعنفوان مجده من غموض لم يكن عليه أثناء التفكير البدائي الأول مما يجعلنا نتساءل ونحن في نهاية الطريق عما كنا نتصور أننا أجبنا عليه ونحن في أوله . ولو أيقن الناس وتمعنوا لأبصروا أن الطبيعة تلعب بنا في مفازات يظهر كل شيء فيها بمظهر السراب يتفلت ويتلاشى كل ما أحسسنا أننا قد تحسسناه . وها نحن لا ندرك هل نحن موجات تتشعع إلى فناء ، أم نحن نعيش في كون من الامتثال الصرف تربطنا قرابة تنفذ اليها بصيرتنا خلال هذا التلاطم الموجي . وسبحان علام الغيوب .

دكتور عبد الملك عبد الرحمن أبو عوف

كلية طب قصر العيني — قسم الكيمياء

المصطلحات العلمية ترجمة الدكتور عبد السلام الكرداني بك والاستاذ محمد أحمد الغمراوي في كتاب (أسرار الفطرة) طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر » .

من المسؤول؟
ترومان ام ستالين

كانت جريمة مستر والاس الذي كان وكيل رئاسة أميركا، الجريمة التي استقال بسببها، انه كان ينصح لمستر ترومان الرئيس أن يصالح ستالين رئيس روسيا وبعبارة أصح كان رأيه أن أميركا وروسيا يجب أن يعيشا في وئام حرصاً على السلام العام. ولكن ترومان الذي انفجرت القنبلة الذرية في هيروشيما بأمره وأفضت الى استسلام اليابان بلا قيد ولا شرط، ركبه الزهو والغرور كأنه هو الذي صنع القنبلة الذرية أو هو الذي اخترعها. ودفعه هذا الغرور الى استفزاز روسيا للحرب. وما زال منذ ذلك الحين الى اليوم يتبجّح ويفاخر بالقنبلة الذرية ويتهدّد بها الى أن عرف أخيراً واعترف أن روسيا صنعتها. ومع ذلك ما زال عرق غروره ينبض الى أن وقعت الواقعة في كوريا وأرسل جنده إليها. والى الآن روسيا لم ترسل جندياً واحداً الى كوريا. وبكل أسف لم نقرأ حتى كتابة هذه السطور إلاّ أن الجنوب الأميركي ينهزم أمام الشمال الشيوعي.

الى الآن لم أفهم لماذا قاسمت أميركا روسيا السوفياتية النفوذ في كوريا، فأخذت على ماتقهاهاية كوريا الجنوبية، وكوريا في جوار منشوريا الروسية الشيوعية، وهي على طرف من الكرة الأرضية وأميركا على طرف آخر. وترومان يجند الآن كل شبان أميركا تجنيداً اجبارياً لكي يحارب روسيا. فيمكنه أن يضع ١٥ مليوناً تحت السلاح لهذا القصد. فما الذي ندبه لهذا العمل الهائل الفظيع. ولماذا يرسل هؤلاء الشبان الأميركان الى كوريا وغير كوريا لكي يموتوا؟ ولأجل خاطر من يموتون، ولمصلحة من يموتون؟ أهكذا يخدم السلام؟ لو طاوع والاس يوم نادى والاس بوجوب مصادقة روسيا لما اضطر الآن أن يثير الحرب العوان وأن يهدد بالقنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية وغيرها. وعهدنا به وبغيره من الساسة انهم يسعون لعقد ميثاق لتحريم الأسلحة الجهنمية ضنّاً بأرواح العباد أن تنقرض عن الأرض

يقول لك ترومان ومن انجرّ وراءهم (ومعظمهم يهود) اننا مضطرون أن نفعل هكذا

لـكي نصد الشيوعية وإلاَّ جرفت الشيوعية العالم كله فنحن ننقذ العالم منها . اذا كانت الشيوعية كما سمعنا عنها في روسيا فاني أستغرب أن يعتنقها جميع العالم . هل جنَّ جميع الناس حتى يعتنقوا الشر الذي يؤدي بهم الى سوء المصير . اذا كانت الشيوعية في روسيا كما شاع في العالم عنها فجميع العالم يشجبها وينفر منها . ولـكن الذين يبشرون بها في غير روسيا يعنون اشتراكية ماركس المعتدلة، وخطاؤنا نحن أن نسميها شيوعية وهذه الـكلمة رديئة يعنى بها الاباحية . وأصلها الاشتراكية . والاشتراكية ليست اباحية ولا شيوعية انما هي نظام اقتصادي يقصد به أن يتسنى لكل شخص أن يتمتع بنتاج عمله ولا يسمح لأحد أن يبتز شيئاً من تعبه. ربما كان الضمان الاجتماعي في انكلترا اخير نموذج لهذا النظام الاشتراكي المعتدل . هذا هو النظام الذي سيقبله العالم ويعم فيه . وأما الشيوعية كما شاع عنها في روسيا فلا يخشى أن تعم أو أن تنتشر ، لأن العالم لا يطيقها . وإذا بحثت في كل شيوعية قامت في بلاد أخرى ليست تحت سيطرة روسيا وجدت انها ليست شيوعية روسية ما هي إلاَّ اشتراكية معتدلة عادلة حقة

فاذا كان ترومان يريد أن يتقي شر الشيوعية الروسية فليقم في اميركا النظام الاشتراكي الحقيقي مبتدءاً كما ابتدأت انكلترا بالضمان الاجتماعي . ولسوف تتوسع به حتى يصير اشتراكياً بحتاً بلا ضجة ولا ضوضاء ولا اخطار اجتماعية .

الاشتراكية حتى الشيوعية لا تحتاج الى دعاية ولا إلى قوة دفاع . لـكي تنشر هي مبدأ عام اجتماعي طبيعي يدافع عن نفسه ويدعو الى نفسه . هي عدوة الاستعمار والرأسمالية المستفحلة ومصيبة ترومان التي ستجلب له الخذلان انه خاضع للرأسمالية المستفحلة . وتحت نفوذ طبقة من اليهود يضحون بكل شيء حتى بأميركا نفسها في سبيل استفحال الرأسمالية والاستعمار . وأي حرب في القرن الأخير لم يقدح اليهود شررها ؟

بقيت لي كلمة موجزة في مسألة طلب ترومان من الأمم العربية ولا سيما مصر أن تؤيد قضية أميركا في حركة كوريا في هيئة الأمم . ويأبى على مصر أن تصر على حيادها، ويتهددها بأن يحرض اسرائيل عليها لـكي تحاربها إذا كانت لا تؤيد أميركا في هيئة الأمم .

لا يخجل هذا الحلاحل المحلحل والملحلح أن يطلب من مصر ومن الأمم العربية جمعاء أن تؤيده في هيئة الأمم وهو الذي كان عدوها الألد في قضية مصر وفي قضية فلسطين . أبعد كل ذلك الطغيان يطلب من العرب تأييداً ؟ سبحان الله .

ثم نسأل فخامة الرئيس ترومان : إذا زارتنا القنابل الذرية الروسية وما جرى مجراها باعتبار أننا خصومها فـكيف نتقبها ؟؟؟

الى خالي الراحل

للشاعرة الصغيرة
نور نافع

مهلاً ذكاء وذي الدنيا تراقبه   نور الصباح ونفح الزهر شائبه
يا أيها الراحل الماضي إلى سفر   وبالأزاهير قد حفت ركائبه
إذاً وداعاً لمن كانت مطيته   ظهر المقادر والدنيا ملاعبه
إذاً وداعاً وقد خلفتنا أبداً   وزين الركب واهتزت جوانبه
اليوم قد قام أزر الدهر معتدلاً   إذ راح منذ انفلات الأمس (غالبه)
اليوم قد ركن الربان وانفرطت   حبّات صحب ونى في البحر قاربه
ونام في الرمس من كانت وسائده   لف الحرائر في عطر يداعبه
كيف استعاض عن الدنيا وآثره   هذا الصغير الذي حمّت غياهبه
وكيف يمضي عن الدنيا ويهجرها   من عاش رغداً وقد ضنّت متاعبه
بشعره كم تغنى الناس في زمن   لم ينله البعد أو تأتي مغاربه
كان الصغار تغنيها صبيحتهم   وفي المساء تغنيها كواعبه
فكان أن أعمل السيف الذي حملت   يمينه مزق العادين صائبه
يا خال: والترب حال بين رؤيته   وبين جلسته . والأنس صاحبه
فالصبح لابثه والليل لابسه   حتى يُشيح متى غابت كواكبه
حتى استحال سواد الليل أبيضه   ونومه قربَ ما تدنو عواقبه
بين الأصيحاب في بشر وفي طرب   والدهر ملآن قد عيت مناكبه
ألداء أبدلها والموت أطفأها   واليوم بالأمس قد دارت عقاربه
حييت والبعد ما بيني وبينكم   لم يعد صدري وما ضمت ترائبه
حييت من كبدي إن كان يا كبدي   قد ظل منك ذماءٌ أو ذوائبه
أبقت عليك الليالي وهي باقية   بعد التجني على الأطلال ناعبه
والله ما الصبر إلا في سواسيه   في الناس عن سيد هذي رغائبه
وثوب غرو إذا ما المرء يلبسه   ما يلبثنّ بأن تبلى جلاببه

* * *

يا دهر كل دفين أنت كاشفه   مني وكل ثمين أنت غاصبه
أسقي ربيعي مشتاقاً فتسبقني   يداك بالقصف إذ دانت مطايبه

مكتبة المقتطف

بين السطور

الأستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر مطبوع وأديب موهوب وله جولات أدبية في بعض المجلات والجرائد فضلاً عن نفحات شعرية تدل على عبقرية ممتازة . وقد صدر أخيراً له كتاب من دار الفكر العربي درس فيه نقد بعض الكتاب العرب الحديثين وهم ساطع الحصري . عبد الوهاب عزام . أمين الخولي . احمد الشايب . قسطنطين زريق . فؤاد صروف . محمدصبري . عبد المجيد نافع . عزيز سوريال الخ .

فطاف بين الأدب والنقد وفي عالم التربية والفكر بين التربية والتعليم والوعي القومي والتعليم والسلام الاجتماعي والفكر العربي بين ماضيه وحاضره . ثم سار مع الفلاسفة في التصوف وفريد الدين العطار وشخصيات ومذاهب فلسفية مختلفة وأهمها محمد عبده . وتمشى مع بعض المخطوطات المنشورة . ورسالة الامام الشافعي . وتصويبات في الذخيرة لابن سيام وقوانين الدواوين . وديوان منسوب للمعري . ثم جنح الى دنيا التراجم . فذكر أبا تمام الطائي والبحتري وأبا نواس . ثم مطالعات شتى عربية وأجنبية . فجمع هذا الكتاب محاسن الأدب الحديث حفظه الله مسجلاً لهذه المحاسن .

دنيا الناس

في هذه الدنيا روائع القصص وهي مجموعة تحتوي على ٢٥ قصة محلية وطنية ضرب بها الاستاذ نقولا يوسف سهاماً صائبة في الحياة الأدبية والأخلاقية . وقد قرأت منها قصتين البهلول والشمرور . فاذا كانت سائر القصص كهاتين فهي جديرة بأن يضيع القارىء ساعة

أو أكثر في قراءتها حين يملّ شؤون الحياة ويتعب منها فهي قصص تنفس عن كربه ويريح دماغه من هموم الحياة

وقد قدّم هذا الكتاب الى قارئيه أمير القصة في مصر الكاتب الكبير الأستاذ محمود بك تيمور صاحب الروايات والقصص الرائعة. ولولا اعجابه به لما عني بتقريظه

والأستاذ نقولا يوسف فياض نابغ في التأليف والترجمة وله عدّة كتب بمواضيع مختلفة وله قلم سلس العبارة متين اللغة فصيحها بليغها. وله تفكيرات فلسفية قيّمة وجولات في الحياة الدنيا. ولعله ينفحنا يوماً صوراً في الحياة الآخرة، وفقه الله.

من السماء

هذا هو الشخصيتان المتباينتان الطبيب والشاعر. كيف اجتمع الطب والشعر في شخص واحد. هو الشاعر المطبوع والطبيب العلاّمة الدكتور أحمد زكي أبو شادي. أعرف هذا النابغة منذ كان يصدر مجلة «أبولّون» الشعرية معظمها من منظوماته وبعضها من منظومات أصدقائه. وأعرفه وهو يشتغل في معامل الطب والكيمياء، وله كتاب ضخم بعنوان الطبيب والمعمل. لله كيف يجول ويصول في المعمل والمعمل يغوص في أعماق المادة حتى الذرة وهذا الغوص يستلزم ذهناً أوسع من السماء لكي يحتضن ما في السماء والأرض. ولله كيف يجول ويصول في الشعر والشعر يستلزم عقلاً فياضاً في الخيال، والخيال من مخترعات العقل المتفاعل مع الكون. لله العجب كيف اشتبك العلم والخيال، والخيال من مخترعات العقل المتفاعل من الكون. لله العجب كيف اشتبك العلم والخيال وهما في غير اتصال.

صدر أخيراً ديوان «من السماء» للنابغة الدكتور أحمد زكي أبي شادي جمع فيه ما نظمه في سبع سنين بين سنتي ١٩٤٢ و١٩٤٧ وهو بين مصر ونيويورك فقد انفعل عقله بتقاليد الشرق العربي وبمستنبطات الغرب الاميركي، فطرق مواضيع أخلاقية واجتماعية وعصرية مختلفة في ١٦٥ صفحة جميلة الطبع ونفيسة الورق وصريحة الحروف، حروف اللينوتيب في مطبعة جريدة الهدى اليومية لصاحبها العلاّمة الصحفي القدير الأستاذ سلوم مكرزل. اثابهما الله خيراً جزاء هذا الجهد العلمي الفني.

فهرس الجزء الثاني

من المجلد السابع عشر بعد المئة

٦٣ اليهود كسلالة أو شعب : السير أرثر كيث

٧٢ منابع النيل : انطون زكري

٧٧ موسم العجائب

٨١ العزلة في رأس الجبل : نقاش بين صحفي وناسك

٨٧ مدفعية النباتات الفطرية ليست للحرب بل للاستعمار

٩٢ بلوطارخوس اليوناني وكتابه التراجمات والسير : احمد ابو الخضر منسي

٩٥ معجزات الزراعة المصرية وآلاتها : عوض جندي

١٠١ السنونو (قصيدة) : عدنان مردم بك

١٠٣ العروبة الجبارة : شيخ العرب مع جمال باشا

١١٠ مصر في واقع التاريخ

١١٣ تقدم الطب في عهد الفاروق العظيم : الدكتور يوسف كحيل

١١٧ نظرات في النفس والحياة : ع ش

١٢١ الحرب ضعف : عبد الكريم الأمين

١٢٤ الكون الموجي : الدكتور عبد الملك عبد الرحمن أبو عوف

١٢٧ من المسؤول؟ رومان ام ستالين

١٢٩ الى خالي العزيز : الشاعرة الصغيرة نور نافع

١٣٠ مكتبة المقتطف ٥ بين السطور دنيا الناس . من السماء

الديموقراطية : مسيرها ومصيرها « ملحق » : لرئيس التحرير